سيكولوجية الطفل



تأليف مشترك

قامت به جماعة أسبوع الطفل للرواد

مطبعة المجلة الجديدة

فهرست

ص

المقدمة

للأستاذ سلامة موسى

تبدو هذه الايام أمارات جديدة على أن العناية بالاطفال تزداد . وان كثيرا من رجالنا ونسائنا المفكرين يستخدمون أذهانهم فى جد ونزاهة لبحث الطرق التى يمكن أن تؤدى الى سعادة الطفل وسروره وصحته وجماله . وقد تقهقر مذهب القسوة وجحدت العصا بين كثير من الآباء والمعلمين ، وليس للأسف جميعهم . وقد أصبحنا نقول بمعاملة الطفل بالحب والملاينة وان نسوسه بالرفق والتفاهم بدلا من البطش والعنف . وقد فشت بين المدارس « رياض الاطفال » حيث يمزج اللعب بالتعليم فيلهو الطفل ويسعد وهو يتعلم

ولكنا مازلنا مع ذلك متأخرين فى العناية بالاطفال سواء من ناحية صحتهم الجسمية أم من ناحية العناية بمعاملتهم وتوخى سعادتهم . فليس بيننا الى الآن مسرح أو دار سينمائية خاصة بالاطفال . ولم يتقدم أديب من أدبائنا المعروفين بتأليف درامة يفرح أطفالنا برؤيتها على المسرح كما لم تؤلف كتب حسنة مصورة بالصور الزاهية ومغلفة بالغلاف الجامد تحتوى من القصص والموضوعات الشائقة مايحبه الاطفال . وبلادنا أقل الاقطار عناية بصنع اللعب . واذا استثنيا لعب الحلوى التى تباع أيام المواسم الدينية لم نجد بيننا مايصح أن يسمي لعب الاطفال . مع أن أمة مثل اليابان تعنى بهذه الصناعة عناية فائقة حتى انها تعد العاشرة فى القيمة الاقتصادية للصناعات عندها ومقامها فى أ كبر من لك

وانه لما يشعرنا بالهوان والصغار ان جميع ما نراه من لعب الاطفال فى الدكاكين انما يستورد من المصانع الاجنبية . كأننا يجب أن نستورد الرفق والحب للاطفال . . . وليس بيننا صناع أذكياء يمكنهم أن يصنعوا اللعب من الخشب أو القصدير بدلا من الحلوى التى تجلب الذباب الى أطفالنا وتسهل أمعاءهم وترمد عيونهم

ولكن بين المعلمين أصحاب الفضل فى ادخال « رياض الاطفال » طائفة تدرس سيكلوجية الطفل . ولهذا الدرس جملة غايات أولاها وأهمها اسعاد الطفل ومعاملته بحيث يحب بيته ومدرسته

ومدينته ويملؤه شجاعة واستبشارا . والغاية الثانية أن ينشأ رجلا ممتازا بهذه الصفات نفسها .
وذلك ان من الحقائق القليلة التى يمكن الاطمئنان اليها فى السيكلوجية الحديثة ان الاستجابات
الذهنية والعصبية الاولى التى تستقر فى الطفل فى مدى السنوات الاربع أو الخمس الاولى تبقى
راسخة فيه مدى حياته ولو بلغ الشيخوخة . وهى لكى تنتزع منه تحتاج الى مجهود كبير جدا قلما
يبذله أحد ولذلك فان الطفل الرعديد الخائف هو بعد ذلك الرجل المخذول الهياب . والطفل الذى
يغار من اخوته ويكرههم هو بعد ذلك الرجل الذى يكره اخوانه فى المكتب ويغار منهم لاتفه
الاسباب . والطفل الذى تضطهده أمه أو مربيته أو زوجة أبيه يخرج الى العالم وهو يشعر ان العالم
كله يضطهده . والطفل المدلل سيبقى مدى حياته نزقا أحمق أخرق ولو بلغ السبعين من العمر .
وهلم جرا .

ولذلك فان العناية بالطفولة هى — زيادة على اسعاد الطفل — عناية أيضا بالرجولة لان
أطفال اليوم هم رجال الغد . ويجب لهذا السبب أن تعمم بين الامهات المبادىء السيكلوجية الحديثة
فى معاملة الاطفال لكي تنشأ نفوسهم سليمة من عاهات الاخلاق . كما يجب أن تعمم بينهن مبادىء
الصحة لكى تنشأ أجسامهم سليمة من الامراض .

وبكلمة أخرى يجب أن نعطى أطفالنا أحسن الاثر عن هذه الدنيا الجديدة التى يستقبلونها
وان نترك لهم أحسن الذكريات من طفولتهم . حتى يشبوا وهم يستبشرون ويتجرأون مع التعلق
بالاسرة ، وحب المجتمع البشرى كله فى الوطن والعالم عن طريق الحب لاعضاء الاسرة فى البيت

• • •

وبعد فهذا الكتاب هو مجموعة مقالات تعالج الطفل من نواح سيكلوجية مختلفة . وقد قام
بهذا المجهود الشريف جماعة اسبوع الطفل الرواد . ويقيننا ان الوالد او المعلم الذى يدرس هذه
المقالات سيجد فيها شيئا كثيرا من المعارف التى يجهلها . وهى تتفاوت فى المقدار وتختلف فى النواحى
التى تعالجها . ولكن جميع الكتاب قد حرصوا على ان يجعلوا الطفل موضوع درسهم

النزعات المقنعة فى الطفل

للأستاذ محمد كامل النحاس

١ — يرث الطفل قوى كثيرة مختلفة ، هى أساس تكوينه وعماد أخلاقه وشخصيته ومن هذه القوى الغرائز المختلفة كالخوف والكفاح والغريزة الجنسية . كما يرث أيضا قوة الذكاء الذى به يستطيع أن يتصرف فى الحياة ويعدل فيما ورثه من القوى الاخرى

٢ — ولكل من هذه القوى وقت خاص تنضج فيه ، ومنذ ذلك الوقت تبدأ أن تدفع الطفل كيما يرضيها بشكل من الاشكال . وهو لا يسعه إلا أن يلبى نداءها ويسير تبعا لهواها ومشتهاها

٣ — لكن الطفل لا يعيش وحده ، وليست الدنيا ملكا له يفعل فيها ما شاءت ميوله وأهواؤه فهو مرتبط بالمنزل الذى ينشأ فى ربوعه ، وبالمدرسة التى يتعلم فيها ، وبالمجتمع كله ، أفراده ، ونظامه وقوانينه

٤ — سرعان اذن ما يجد الطفل نفسه مقيدا ، وهو لا يدرى لماذا يقيد . وسرعان ما يدرك ان أقرب الناس اليه وأحبهم لديه هم الذين يقفون فى طريق نزعاته ، ويقيمون الحواجز أمام أهوائه ورغباته ، . وكلما امتد به العمر ، رسخت أمامه الموانع ، وكثرت فى طريقه الحواجز ولذلك يبكى الناشىء سنيه الحرة المرحة ، ويندب الرجل عهد الطفولة الطليقة

٥ — ولكن ليس يسيرا أن نرد نزعات الطفل الى الوراء ، ذلك لأنها قوى طبيعية فيه ، ملأى بالحياة والنشاط والحركة . فما كان تشديد الضغط على هذه النزعات ، والعمل على كبتها ، واستعمال وسائل الذهاب والعقاب مما يلجأ اليه كثير من الآباء والامهات ، بمناعة للطفل من ارضائها ، والعمل على تحقيق دوافعها . بل كلما زدناه شدة وضغطا ، زاد مراوغة ومكرا ، وكلما أرهبناه بالتهديد والوعيد ، وهززنا له العصا ، ثم أشبعناه بها ، زاد هو قدما ازداد فكره فى الالتجاء الى تحقيق رغباته سرا وعن بعد منا

٦ — وان اشتد الضغط أو تكرر ، فقد ينتهى الامر الى أن تختفى هذه النزعات من شعور الطفل نفسه ، ولو أنها لا تمحى من حياته العقلية . بل تظل تسير الطفل دون أن يدرك عنها شيئا ، وتوجهه

من وراء ستار ، فيقوم بأعمال لايعرف تماما لماذا يقوم بها ، ويسلك مسالك غريبة دون أن يدرك القوى التى توجهه اليها . ولو أنه فى بعض الاحيان يحاول تبرير هذه الافعال الغريبة بأسباب غير صحيحة أو غير معقولة

فالطفل الذي يلزمه أبواه السكون والهدوء ، ويحرمان عليه اللعب ، نجده فى بعض الاحيان يقسو على أخت صغيرة أو قطة مسكينة ، يشبعها ضربا وايلاما . وليس من مبرر معقول لهذا إلا أن يقول لك الطفل ان أخته كادت تخطف لعبته أو ان القطة كادت تسرق مأكله ، وتخدش وجهه

وهكذا تبدأ قوى خفية تسير الفرد دون أن يشعر بها ، وقد لبست هذه القوى قناعا يحجب كنهها ، ويستر سرها فاذا ما مزقنا هذا القناع ، أمكننا أن نفضح أمرها ، ونبطل أثرها فلا تعد تسير الطفل فى طرق غريبة لايدرى هو نفسه لأى شىء يسلكها

٧ ـ ولقد حاول العلماء تفسير هذه القوى المقنعة وذهبوا مذاهب شتى وتفرقوا الى ثلاث مدارس هامة : مدرسة « فرويد » وهو يرجع أصل هذه القوى الي الغريزة الجنسية التى يعتقد بظهورها فى سن مبكرة من حياة الطفل . ومدرسة « أدلر » ويرجعها إلى النزعة للسيطرة والقوة والتفوق . ورأى « يونج » ويرجعها الى الوراثة وإلي رغبات كبتت فى حياة الفرد . فجزء من العقل الباطن ورائى فى نظر يونج . ويضيق المقام هنا عن أن نشرح بالتفصيل هذه الآراء المختلفة

ولـكن مهما يكن من أمر هذه المدارس واختلاف آرائها ، فان مايهمنا هنا هو أن نعرف أن الطفل يعيش فى مجتمع خاص ذى نظام وتقاليد وقوانين ، قد تتعارض مع رغباته ، وميوله ونزعاته وقد ينشأ من هذا التعارض أن يبعد الطفل دون أن يدرك بعض هذه النزعات من شعوره . وان هذه النزعات لاتذهب كلية من عقل الطفل ، بل انها تستمر وتختفى فى منطقة من العقل تسمى اللاشعور أو العقل الباطن ، وانها تؤثر فى الفرد طفلا وناشئا وراشداً ورجلا دون أن يدرى عنها شيئا فيسلك بسببها سلوكا يظهر غريبا ، وقد يظهر شاذا ، وقد يكون اجراما

٨ ـ خذ مثلا طفلين : أحدهما كان حائزاً لرعاية أبويه وعطفهما ، فاذا بأخ جديد يأتى للحياة ، واذا بأبويه يغمرانه حبا وعطفا ، واذا بالا كبر يشعر كأنه قد صار نسيا منسيا ، واذا هو فى عناد وتمرد يملأ المنزل ضجيجا وعجيجا ، وقد كان من قبل طفلا هادئا رزينا

وها هى حالة مأخوذة من عيادة سيكلوجية فى ألمانيا :

كانت « ف » بنتا وديعة مطيعة ، حتى ولدت أمها أختا لها ، فانقلبت الى طفل مشاكس ميالة

للشجار ، دائما تريد أن تكون المميزة فى المنزل حتى عن والديها . فان وضعت أمها لابيها مقدارا من الطعام أكثر من نصيب « ف » غضبت وزمجرت . وأصبحت ملابسها مهما ارتفع ثمنها وعلا صنفها ، شيئا حقيراً فى نظرها . وكانت تنزل سخطها وغضبها على كل مايقع نظرها عليه فى المنزل فتقلب الاثاث وتهشم ما يمكنها تهشيمه . ولم تجد معها طرق العقاب الذى طالما أنزلته أمها بها

وفى المدرسة كانت « ف » لطيفة محبوبة تقوم بأعمالها المدرسية فى رغبة وحماسة ونشاط على خلاف ماهى عليه فى المنزل

نصحوا الام فى العيادة أن تقضى مع ابنتها « ف » يومين بعيدا عن المنزل ، تغمرها فيهما بالعطف والحنان ، وتحدثها كلما أتت المناسبة عن مقدار شغفها بها شغفا لايقل عما تضمره نحو أختها الصغيرة التى كانت تقضى معها وقتا أطول ، فما ذلك الا لانها صغيرة عاجزة تحتاج الى رعاية خاصة وعناية كبيرة . وهى تنتظر منها أن تساعدها فى ذلك فترعى أختها حين تشغلها مشاغل المنزل عن ذلك . وهفيت « ف » بعد أسابيع معدودة وأصبحت مرة أخرى ، البنت الوديعة اللطيفة التى كانت قبل أن يخلق الله لها أختها

والتعبير عن سبب عناد البنت وتمردها ، تعبيراً نفسانيا نقول ، ان لديها كما عند كل فرد نزعة السيطرة ، وان هذه النزعة كانت تحقق غالبا ، اذ كانت ترى نفسها محوطة بالرعاية ، مجابة الى كل ماترغب فيه فلما أتت الاخت الصغيرة وظنت البنت أن أمها قد أقلت من حبها ، شعرت بضعف أمرها واضمحلال سلطانها . ولكنها كبتت هذا الشعور وأسكنته دون أن تحس ، فى غياهب عقلها الباطن وأضحى يؤثر فيها على غير بصيرة منها لانه محتجب متدثر

فلما كشف العلاج القناع عن تلك النزعة ، بطل أثرها الخفى ، وعادت البنت سيرتها الاولى

ان هذه الحالة وشبيهاتها ، تماثل تماما تلك العادة الغريبة الشائعة فى قبيلة « أورانكبو » فى جزر الملايو . يقولون ان الحياة حين تقسو على أحد أفرادها ، كأن تفقده أعزاءه ، أو تحرق محاصيله يخرج قابضا خنجره ، ويصرخ صرخة خاصة ، كانذار لاهل الحى . ثم يعتدى على كل من يصادفه ويجتمع الناس حوله بأسلحتهم ، يضربونه بها حتى يخر صريعا ، فاقد الحياة ! !

فالام فى حالة الطفلة « ف » تشابه المجتمع ، وتمرد الصغيرة وعنادها وضجيجها ، يقابل تمرد الشخص على هذا المجتمع الذى يعمل على الخلاص منه ولكن بعد أن ينتقم لنفسه مما لاقاه فيه

وللاسف نجد بعض الوالدين يفضلون أحد أبنائهم على الآخر ، ويظهرون هذا التفضيل واضحا للطفلين فى معاملتهم ، وحتى فى طريقة الكلام لهما . مما له أسوأ الاثر فى كلا الطفلين خصوصا فى الذى يشعرونه بأنه أقل مركزاً فى نظرهم . حيث يكبت فى المسكين نزعته للسيطرة ، فينشأ ذليلا عديد الحياء ، كارها لمنزله . أو قد يتمرد عليه ويهرب منه

وتبدو هذه الظاهرة جلية فى بعض البيوتات التى يضطر الطفل فيها لان يعيش مع أخوة غير أشقاء ، ومع أم أو أب غير أمه وأبيه

٩ ـ ولا شك أن عددا غير قليل من الاسر المصرية تقاسى من حالات شاذة فى أطفالهم كتلك التى ذكرناها . على أن هناك ماهو أدق وأخطر ، مثل ظهور الغريزة الجنسية بشكل ملتو فى أطفال صغار وفى بعض الراشدين ، نتيجة لكبت هذه الغريزة أو بعض مظاهرها كنزعة الطفل للالمام بكيفية وجوده فى الحياة ، ومعرفة وظائف بعض أعضاء الجسم واختلافها فى الجنسين. وما يدرى الوالدون حين يضغطون هذه النزعة فى الطفل ويمنعونه من الكلام عنها أو حتى التفكير فيها أنهم انما يدفعون بها فى عقله الباطن ، حيث تؤثر فيه دون أن يشعر وتجعله طفلا وناشئا ورجلا يسلك مسالك غريبة ، ويسير فى طرق قد تكون بشعة خطرة

١٠ ـ ولقد ينتج عن الكبت على رغبات الطفل أو الفرد أمراض لا ينفع فيها الطب ، ولا يجدي مثل ضيق التنفس والارق والتأتأة وآلام الرأس وغير ذلك . وكأن الرغبات المضغوطة المستترة فى العقل الخفى ، تجعل الفرد يلجأ لهذه الامراض يبرر بها عجزه عن تحقيق تلك الرغبات وقعوده عن أن يسير فى حياته سيراً طبيعيا عاديا

أصيب جندى انجليزي أرسل لمصر بأرق وآلام مستمرة فى الرأس ، ولم يجد الطب معه شيئا فاضطر لان يستشير طبيبا نفسانيا . وعند أول مقابلة للطبيب ذكر له الاخير أنه طبعا يتوق لان يغادر مصر ، ويرجع الى بلاده ويعيش مع أهله وذويه ، فأجاب الجندى بالنفى قائلا انه سعيد مع فرقته حيث هو . وفى اليوم التالى نوم الجندى تنويما مغناطيسيا ، وأعطى ورقة وقلما ، وطلب منه أن يكتب أعز أمانيه فكانت « مغادرة مصر » ! ! « ليت هذه كانت أمنيتهم جميعا »

وهكذا تبين أن الشخص قد تنازعه دافعان : رغبة فى ترك مصر ، ودافع الوطنية الذى يتطلب منه أن يخدم بلاده مقيما فى مصر . فضغط الاخير على رغبته فى الرجوع الى وطنه وأنزلها العقل الباطن حيث أثرت فى الرجل مستترة ، ودون أن يشعر وسببت له مرضه

وقد يتسبب عن الضغط على نزعات الطفل أو الفرد واحتجابها بعض اضطرابات عقلية قد تنتهي بالجنون

١١ – ماذا نفعل اذن بأطفالنا ؟ وكيف نعامل نزعاتهم ورغباتهم حتى لا تضطر لان تؤثر فيهم من وراء ستار ؟ أول مايتبادر الى الذهن الا نضغط عليها . بل نجعل الطفل يحققها مسترشداً بنا حتى لا تدفعه فى اتجاهات تضر به ، أو تسيء الى من يعيش معهم . فلا نعاقب المشاكس ، بل نوجه دافع العراك فيه الى العاب يرضيه فيها ، ويتعود من القيام بها عادات صالحة كاتباع نظام اللعبة ، والتضحية للغير والصبر والاناة

ولا نحرمه من أن يشبع رغبته فى الاستطلاع ، والسؤال عن مختلف الاشياء . بل يجب أن نجيبه عن كل ما يسأل فيه ، بكلام بسيط يناسب ادراكه . ولا نكذب عليه ، ولا نفتح ذهنه لافكار لم يحن بعد وقت الالمام بها مثل ما يتعلق ببعض الامور الجنسية ، وما يتعلق بالادلة الدينية العالية على مستوى تفكيره . فان سأل الطفل عن معنى الزواج ، فهو ان يعيش رجل مع امرأة ويربيا أولادها . ولا ضرورة لان نذكر له المعنى التام بتفاصيله وحذافيره ، أو ان نطلب منه السكوت لانه لا يزال صغيرا فلا يحق له أن يسأل عن مثل هذه الامور

ويجب ألا نثبط همة الطفل فنقول انه بليد غبي وانه عاجز عن أن يؤدى عمله ، كما يفعل بعض الآباء والمدرسين . فان مثل هذا القول المؤلم يكبت فيه نزعته المسيطرة والتفوق وتؤثر فيه هذه من وراء ستار ، فتجعله بليدا غبيا عاجزا حتى ولو كان ذكاؤه مفرطا . أحرى بنا أن نشجع الطفل ونجعله يتغلب على مواطن الضعف فيه

ويجب أن نساوى بين الاطفال فى المعاملة ، فلانشعرهم بأن منهم من هو أحب الينا من غيره ، والا تولدت بينهم غيرة خفية قد يتسبب عنها تنافرهم وتباغضهم وتشاحنهم

ويجب أن تكون الحياة الزوجية هادئة قريرة أمام الطفل . فيتفق الزوجان على توجيهه وتنشئته . وان حدث ما يترتب عليه اختلاف فى الرأى ، أو تبادل كلمات قاسية ، فليكن ذلك بعيداً عن الطفل والا انقسم على نفسه كما ينقسمان أمامه

ويجب ألا ندلل الطفل ، فالتدليل يكبت غريزة الاستقلال فيه (لانه يحصل على كل مايرغب) وهذه تؤثر فيه تأثيرا شاذا فينشأ عنيدا ، مكارا ، أنانيا . ويجب ألا نأخذه بالشدة والقسوة فنكبت بذلك نزعته المسيطرة ، فتؤثر فيه وهى متخفية ، وتجعله جبانا ، ذليلا ، مستكينا

ويجب ألا نتركه للخدم ، وان نحرص على حسن اختيار من يختلط بهم ، حتى لايعبث كل هؤلاء بتعاليمنا له ، ويجعلوا عقله فى صراع واضطراب ونزاع ، حين يختلف كلامهم له من كلامنا

ويجب أن نعمل على تكوين الخلق الجيد فى الطفل منذ نشأته ، وتثبت العقيدة بين ضلوعه ، حتى تنبنى حياته فى طفولته وبعدها ، على أساس منظم ثابت ، فلا يكون كالريشة فى مهب الريح تتجاذبه الدوافع هنا وهناك ، وتتصارع فى عقله مختلف الرغبات ، فيضطر لان يزج ببعضها فى اللاشعور (العقل الباطن) حيث تتنكر وتتخذ لنفسها صورة خفية تسير الانسان فى مسالك غريبة

ويجب أن نكون قدوة للطفل فى المنزل وفى المدرسة . وأن تكون تربيتنا له مبنية على المحبة والعطف ، لا على الارهاب والخوف . بذلك يسهل توجيهه فيما نراه صالحا له دون أن يسىء للمجتمع الذى يعيش فيه

١٢ ــ أما علاج الحالات الغريبة التى تظهر في الاطفال أو الافراد فتنحصر باختصار فى اظهار القوة المستترة القابعة فى العقل الباطن ، المسببة لشذوذ الفرد ، وفى جعله يواجه مشاكل الحياة التى أمامه ، بدلا من الالتجاء الى سلوك غريب لايمت للمشكلة بصلة ، ولا يساعد على حلها ، وبدلا من الالتجاء الى مرض يبرر به قعوده وضعفه

فالطفل الذي فقد ثقته بنفسه ، لان غريزة السيطرة فيه انحدرت الى قرارة عقله الباطن لسبب من الاسباب يمكن أن نعطيه أعمالا بسيطة ملائمة ، ونشجعه على القيام بها ، ثم نضع أمامه أعمالا أصعب وأصعب حتى تنحل عقدة السيطرة . وتظهر بشكلها الحقيقى كما كانت قبل الضغط عليها وبذلك يعود للطفل ثقته بنفسه

ولكل حالة علاج خاص لايمكن أن يقترح الا بعد أن تدرس كل العوامل المختلفة التى سببتها فى الماضى ، والتى تحيط بالطفل أو الفرد فى الحاضر

١٣ ــ ان فى مقدورنا أن نخرج للحياة أفرادا يسيرون فى ثبات وطمأنينة ، ويدركون تماما الى أي اتجاه يتجهون . وبأي القوى والنزعات يتأثرون . فيرتفع بهم المجتمع ويعلو . والامر يحتاج الى رعاية كبيرة وعناية دقيقة من الوالدين والمربين . كم منهم يجنون على أطفالهم ويخرجونهم للمجتمع ضعافا مترددين ، أو معاندين انانيين ، يشقون وتشقي بهم الحياة . ويرددون فى اعماق نفوسهم

هذا جناه أبي على فليت أبي لم تلد

الاستبداد بالطفل

للسيدة زاهيه متولى

ميدان الضحايا واسع فسيح وميدان الاستبداد أوسع وأفسح غير أنى لا أقصد من عنوانى هذا ضحية القائد المستبد بجنوده ولا الحاكم المستبد برعاياه ولكن ضحية اليوم ضحية ساذجة ضعيفة لينة مستعدة للتشكيل كيفما شاء مشكلها

الطفل هو الضحية التى نتحدث عنها اليوم ولو أحصينا الضحايا لوجدناها كثيرة متعددة ولكن انى لنا أن نشعر بها ونحن نجهلها أو نتجاهلها ارضاء لما يغمر نفوسنا من حب للنفس وانانية أو لاظهار القوة والسيطرة ؟

للطفل حقوق وواجبات على أبويه ولكن تلك الحقوق فى معظم الاحيان مهضومة لان كثيراً من الآباء والامهات لا يفهمون الطفولة ولم يحاولوا أن يفهموها فللطفل الحق كل الحق فى ان يربى تربية صالحة وينشأ نشأة صحيحة جسميا وعقلياً وخلقيا ونفسيا

ولا يجوز أن ننتظر من الطفل تأدية واجباته على الوجه الصحيح الا إذا وفيناه حقوقه من التربية والتعليم ، ونجد الوالدين بالرغم من هضمهم حقوق الطفولة وإهمالهم واجباتها ينتظرون من الطفل الطاعة والخضوع ثم يكون نصيبه منهم مقابل هذا اهماله وكبت ميوله واخماد غرائزه وتركه يتعود من شتى العادات ما يعوق نموه ورقيه

أما استبداد الوالدين فينشأ عادة اما عن جهل واما عن أنانية فنجد الام تستبد برأيها أحيانا لاظهار السيطرة ظناً منها أنها يمكنها أن تربى طفلها بهذا الاستبداد غير شاعرة بالضرر الذى سيعود عليه من جراء ذلك الاستبداد

فالطفل يذهب ضحية استبداد الام وجهلها بكيفية تغذيته فهى تستبد بالطريقة التى تراها ولا تقبل النصائح الموجهة اليها متأكدة أنها هى الام وهى أدرى بمنفعته من أى شخص آخر وتقوم الشفقة الكاذبة بدور هام فى التمادى فى هذا الاستبداد مع تلوينه بلون غير لون الاستبداد ويكون نتيجة ذلك كله أن ينشأ الطفل ضعيف الجسم ان لم يكن عليلا وربما أصابه تشويه جسمانى وتأخر نموه العقلى مما يكون له اسوأ الأثر فى حياته المستقبلة

وتوجد مشكلة عامة نجدها فى كثير من المنازل وهى ايام فطام الطفل فتريد الام اطعامه بيدها ولكنه لا يلبث أن يحاول ويظهر الرغبة فى اطعام نفسه ولكنا نرى الام تصر على اطعام الطفل خوفا من تلويث ملابسه بالطعام أو اذا سمحت له باطعام نفسه فانها تضيق عليه الخناق وتحتم عليه الا يوسخ ملابسه وسرعان ما يصرف هذا التحتيم الطفل عن الرغبة فى اطعام نفسه وبذلك يتأخر

فى تكوين عادات المائدة . فالاحسن الا تستبد الام برأيها فى تقييد الطفل بالمحافظة التامة على ملابسه لانه بذلك يضع كل همه فى إتمام تلك العملية منصرفا عن كل ماعداها حتى عن الطعام نفسه ويحسن بها أن تعوده النظافة والمحافظة على ملابسه شيئا فشيئاً بعد أن تعوده الاعتماد على نفسه فى تناول طعامه بيده

ويجب أن تعلم أن لكل فعل فى بيئة الطفل رد فعل وطبعاً يتوقف مقدار تأثيره على قوة المحرك الذى يحركه ويثيره فاحيانا نجد الاستبداد ينتج خضوعاً . فالطفل الذى تصدر اليه أوامر أمه المستبدة فيخضع لها أو يظهر الخضوع خوفا من العقاب لايلبث ان يستسلم للخضوع فى كل اموره ويصبح جباناً ضعيف الثقة بنفسه متردداً فى جميع أعماله وأقواله لا يجد مجالا للتفكير المستقل وتضيع بذلك عليه فرص الطفولة الكثيرة التى يعتمد عليها خيال الطفل فى تكوين شخصيته والتى فيها تظهر ميوله وتهذب غرائزه

وأحيانا نجد التمرد نتيجة أو رد فعل لهذا الاستعباد فالطفل يعز عليه أن يحكم بهذه القسوة الاستبدادية وتثور ثائرته ويتمرد على الأوامر المعطاة له ويعمل عكس ما يؤمر به وكلما زاد العقاب تغلغلت فكرة التمرد فى نفس الطفل فتتوتر رابطة المحبة بين الطفل وأبويه ويصبح المنزل مكانا لا يصلح لاظهار رغباته وميوله وغرائزه فيحاول صرف معظم وقته خارجه مع أولاد الجيران أو الخدم وينتج عن هذا التمرد صفات نفسية منها العصيان وصلابة الرأى والعناد والانتقام لنفسه باغاظة أمه ومضايقتها وإذا اشتد العقاب اختلق الاكاذيب ليبرر موقفه

والوالد الذى حرمته أعماله خارج المنزل من إظهار السيطرة والاستبداد الدفينين فى نفسه قد يجد مجالا واسعاً فى المنزل حيث هو الحاكم بامره فيدخل المنزل وهو مملوء بروح السيطرة والرغبة فى إظهار عظمته فيأمر وينهى ويستعمل جميع الوسائل ليشبع ميوله ورغباته الخفية فينكمش الاطفال والأم معاً خضوعا واستسلاما لاوامر الأب العسكرية

والزوجة التى لا مجال لها فى إظهار استبدادها إلا والزوج بعيد عن المنزل تجد الفرص عديدة فى إظهار هذا الاستبداد باطفالها الصغار فتستبد فى أوامرها فاذا تحرك الطفل أو سمع صوته ارضاء لطبيعته عوقب وحرم من اللعب وإذا أراد الراحة أمر باللعب والحركة لانها ترغب فى أن تراه يلعب إلى غير ذلك من الأشياء التى لا أساس ولا أسباب لها فهو يقوم بكل حركاته تحت تأثير رغبات الوالدة لا على حسب الدوافع الطبيعية الكامنة فى نفسه

والسيدة التى تحرم طفلها اللعب مع أطفال جارتها لخلاف بينهما هى فى تلك الحالة مستبدة بالطفل لا لذنب ارتكبه بل لحفيظة فى نفسها ولا ترى أمامها أضعف من طفلها فتحرم عليه ألذ شىء يريده وهو اللعب مع أصدقائه وليتها تمنعه وتعوضه مافقد بمشاركته فى اللعب أو إيجاد الجو الصالح لشغل

وقته فلا يشعر بالنقص الذى أوجدته بهذا المنع ولكنها تتركه ونفسه وما يدرينا فربما تدفع الطفل الرغبة القوية للعب كما تعود فيتمرد على أوامر الام الصارمة ويذهب خفية ويلعب مع أصدقائه كالمعتاد وإذاما اكتشف أمره فهو يحاول تخليص نفسه بالحيل والا كاذيب لتضليل أمه . ولو كانت عالمة بطبائع الاطفال لأدركت أنه ليس من السهل منع الطفل عن أشياء تعودها فهو لابد أن يخرج ليلعب إذا وجد الفرصة وإلا إذا شددت عليه المراقبة حاول الثأر لنفسه بمضايقة أمه بصراخه وعويله أو بمشاجرة اخوانه إذا كان بالمنزل اخوة وبتخريب كل ما تقع عليه يده من الأثاث والأوانى

والام التى تحرم طفلها من اللعب خشية تلويث ملابسه وبالرغم من محاولته أو الحاحه تتمادى فى استبدادها غير مدركة أنها تحرم الطفل من الحياة لأن الحركة للطفل فى السنين الأولى هى الحياة بعينها فيها ينمو جسمه وتقوى عضلاته وترقى مداركه وتهذب غرائزه وتظهر ميوله ورغائبه وتكيف وتشكل إلى ما فيه الخير لشخصيته وللمجتمع . ولو علمت الام ما سيفقده طفلها بهذا الاستبداد لضحت بقليل من وقتها فى غسل ملابسه أو عوضته بطرق أخرى للعب تحفظ ملابسه من القذارة أو خصصت له ملابس يلبسها وقت اللعب ذلك كيلا تقف فى سبيل أشباع ميوله ورغباته فهو يجد فى اللعب الفرصة لتحريك عضلاته وتقويتها وفيه يجد المجال واسعا فى أختيار بيئته واظهار غرائزه فيحل ويركب ماشاء من لعبه ويهدم ويبنى منزله . والبنت تطبخ وتطعم عرائسها وبالاجمال فالطفل يعبر عما يجول بخاطره فيجب ألا تحرم الام طفلها من اللعب بل تعد له الاماكن الصالحة فبدلا من أن تتركه يلعب فى التراب والطين تأتى له بالرمل الأبيض النظيف أو غير ذلك

والأم التى تقلب نظام حياة الطفل لانها تريد أن تفعل هذا وذاك فترغمه على النوم فى ميعاد لم يتعوده لانها تريده أن ينام متأخراً فى المساء أو تحرمه من النوم بالنهار لانها تريد أن ينام مبكرا فى المساء وهكذا ينقلب نظام حياة الطفل لا فى النوم فقط بل فى الاكل والأشياء الأخرى ويصبح عصبيا كثير البكاء منحرف المزاج

ولقد صادفتنى حالات كثيرة فى العيادات السيكوجية فنجد الام تنظر الى أعمال طفلها وميوله وسلوكه الشاذ نظرة حائرة مضطربة لاتدرى من أين له بهذه الصفات أو العادات ولا تتهم لعصيانه أوامرها أو إيذائه لأخيه الطفل الرضيع أو لتخريبه أثاث المنزل ـ لا تجد لكل ذلك أى سبب ولم تدر أن أعمال الطفل هذه ناشئة معظمها من دوافع خارجية آتيه من بيئته فتأثر بها بمقدار مالها من قوة أو ضعف

فلا يمكن أن نصلح طباع الطفل إلا إذا أصلحنا الحياة المنزلية أو البيئة التى تولد تلك العوامل فتدفع الطفل إلى الطريق الذى لا نرضاه له

ضحية التثبيط

للآنسة بهيجة بيوي سليمان

كثيراً مايتورط الآباء ومن يوكل اليهم أمر تربية الأطفال فى بعض الاخطار التى تجنى على الطفل وتلحق به اضرارا وأدواء يصعب شفاؤها . ومن أهم هذه الاخطار اندفاع الواحد منهم فى تنقص الطفل واظهار عجزه عن عمل من الاعمال او سخفه فى تصرف من التصرفات والضن عليه بكلمة تشجيع تسره وتبعث فى نفسه الأمل . لأن هذا التثبيط يهدم فى الطفل روح الوثوب والاقدام فى مختلف الاعمال وتبنى على انقاض تلك الروح الخضوع والذلة والخجل والحياء وغيرها مما يدعو الى اختفاء مواهب الطفل واستتارها منا الى ان تخمد وتندثر او الى ان تنحرف عن طريقها المستقيم وتنشق لها فى نفسه طرقاً تضطرب لها حياته فتجنى على مستقبله وتلحق الضرر بأهل محيطه ومجتمعه

الطفل مفطور على حب الظهور والمنافسة والسيطرة وغيرها من الغرائز . وهذه الدوافع الفعالة تجعله على استعداد للاتيان ببعض الافعال التى من شأنها اظهار شخصيته أو مقدرته . فلا تجد الطفل يلتهز فرصة وجود زائر أو خلافه فيتقدم اليه بملبسه الجديد أو بلعبته أو كتابه الخ . هذا الى أنه يقوم بأعمال أمام غيره ليتبين قدرته كالنط والقفز والاقدام على مزاولة بعض الاعمال التى يشعر انه يجيدها واذا ماعمل عملا أسرع نحو أمه أو مدرسته ليريها ماصنع آملا أن يسمع أمه تسجل تفوقه وتعترف باحسانه واجادته فان فاز من ذلك بما أراد شاع السرور فى نفسه وقويت عزيمته . والواقع أن أعمال الطفل سواء اكانت صغيرة أم عظيمة بالنسبة لنا هى ذات قيمة كبيرة فى نظره وتستحق منا التشجيع فاذا لم يجد الطفل منا ذلك بأن لاحظ فينا شيئا من عدم الاكتراث بأعماله أو من الاستهجان لتصرفاته فترت همته وانقبض صدره وانهدمت آماله فيعود من حيث أتى وهو خجل وربما ترك هذا فى نفسه أثراً سيئا يجعله لايأنس الينا بعد ذلك . ذلك لأن التثبيط قد يستدعى فقد ثقة الطفل فى نفسه أيضا . أعرف طفلا فى الخامسة من عمره مولعا بقضاء بعض الحاجيات العائلية لكنه كان لايجرؤ على لمس الاشياء القابلة للكسر وهذا لأن مربيته أطلقت عليه « ايده فيها الكسورة » ففقد الطفل بهذا التصريح العادى الخطير ثقته فى نفسه لدرجة حققت هذا التعبير ـ ولكن سرعان ماعادت اليه ثقته فى نفسه بواسطة وسائل التشجيع المختلفة التى جعلته يهتم بتوصيل مافى يده سليما فاصبح بعد المرانة قديراً على حمل هذه الاشياء وصيانتها لدرجة مدهشة

فالتثبيط كالاستهواء يزيد أثره ويستفحل خطره كلما تكرر . فى هذه الحالة بتصريحك فى وجه الطفل بأن « ايده فيها الكسورة » قد القيت فى نفسه هذه الفكرة وأضعفت ثقته فى نفسه من هذه الوجهة فكلما ازددت فى اطلاق هذه العبارة عليه ازداد شعوره بهذا الضعف وقلت ثقته بنفسه حتى يفقدها تماما ويحل محلها ايمانه الراسخ بأنه عاجز من هذه الناحية تمام العجز - كذلك المعلم أو المربى الذى يثبط فى الطفل عزيمته نحو عمل ما باستمراره يوحى اليه بأنه مهما حاول اتقانه فلن يفلح أبدا وبذا ينقلب على عقبيه فيكره ذلك النوع من العمل ويستثقله ويكره المعلم وربما كره المدرسة بأجمعها وتكون النتيجة ركون الطفل الى الخمول والكسل واستيلاء اليأس على نفسه فيستحيل عليه التقدم فى الحياة أو النجاح فيها

يشعر الطفل بالسيادة متى سمح له المربون بأن يتحمل بعض المسئوليات التى يستشعر فى تحملها أن له كيانا مستقلا وذاتية خاصة ومتى مكنوه من القيام ببعض الاعمال البسيطة التى يثبت بها وجوده فهو يجب أن يكون موضع الاهتمام والثقة من الكبار . فلماذا نتغاضى عن هذه الرغبة الجميلة الملحة ونحن فى حاجة إلى أن نخلق من هذا الناشىء الصغير عضواً نافعا للجماعة يتحمل اعباء الحياة ويقابلها بصدر رحب ؟ علينا أن نهتم بأعمالنا كل الاهتمام ونحرسهم على القيام بكل مايستطيعون القيام به مع مراعاة التشجيع المناسب فى وقته المناسب لما لذلك التشجيع من الاثر الجليل فى اثارة الهمم كما أنه يبعث على النهوض والنجاح وبذا يتقدم الطفل ويرقى

أما اذا اهملنا فى الطفل هذه الرغبة وثبطنا عزيمته بإهمالنا أشعرناه بأننا لانهتم لتقدمه فتسأم نفسه ويفقد نشاطه وتفتر همته لثقته بأن من يحبهم ويثق بهم وبكلامهم ويعتمد على تشجيعهم يحتقرونه ويستخفون به وبآرائه ولو اكثرنا من استعمال بعض الجمل التى نعتبرها بسيطة وهى فى الواقع بعيدة الأثر فى نفس الطفل مثلا كقول الأم لابنها مثلا « انت خايب وأنا لا أعتمد عليك مطلقا فى قضاء أى شىء » لأضعفنا ثقته بنفسه وقبرنا مواهبه وكفاياته وحرمناه من اظهارها وتنميتها والانتفاع بها وعلى كل من الحالتين فقد جنينا وسببنا له فشلا تعود مضاره على الطفل والاسرة والمجتمع

هناك أطفال لرقة شعورهم يتحكم فيهم الخجل الى درجة الصمت والوقوف عن الكلام وما هذا إلا نتيجة التثبيط - فهم يعتقدون أن كل مايقومون به سيقابل بالاستهزاء . وانا لنجد من التجارب العملية أن الطفل وهو فى بدء عهده بالقراءة والكتابة اذا استدعى لكتابة شىء ما أو قراءته أمام غيره وزل فى ذلك واستهزأ به اخوانه من الاطفال فانه يخجل لدرجة لايحب معها أن يظهر مطلقا أمامهم فى موقف كهذا . وربما ذهب به احساسه الى حد أن يكره مجتمعه الصغير ويتجنب الاختلاط

بافراده فيجنح للعزلة والانفراد وفى هذا ضرر بليغ بتربيته الاجتماعية اذ ربما تتكون فيه النزعة للانزواء والعزلة وتبقى معه فى جميع أدوار حياته وتؤثر فى جميع تصرفاته

هذا ويوجد ضرب آخر من التثبيط يفسد على الاطفال حياتهم وينغص عليهم عيشتهم وذلك هو جرح شخصيتهم عند الكلام والسؤال وخلافهما . فشخصية الطفل يجب أن تحترم عند مايتكلم أو عند مايسأل او يجيب مهما كان كلامه تافها أو أسئلته بسيطة فى نظرنا أو كانت اجابته خطأ . فقهر الطفل وتثبيطه فى مثل هذه الاحوال يضعف من شخصيته وغالبا يدفعه الى العزلة والانفراد وربما دعا عدم التشجيع الى عصيان الطفل لدرجة يصعب معها استهواؤه الى عمل من الاعمال مهما كان أمره ـ ومن واجبنا الا نهزأ بكلام الصغار والا نشنع باخطائهم حتى لانمس شعورهم وأن نجيبهم على أسئلتهم ـ مهما كانت اجابة صحيحة تتناسب وحالة نموهم العقلى وفى هذا احترام لشخصيتهم الناشئة وتعويد للطفل احترام نفسه وغيره

من ذلك نرى أن التثبيط جريمة فظيعة تقتل فى الطفل شعوره وتقبر مواهبه التى منحها الله إياه وتوجه سلوكه توجيها ضاراً يتحكم فى مستقبله تحكما يعود ضرره عليه وعلى مجتمعه ـ هذا وانه يحول بينه وبين الاستمرار فى التعلم والاستفادة من الحياة والتجارب فيصبح هذا البرىء ضحية الاهمال أو الجهل بما يجب اتباعه فى توجيهه التوجيه الصحيح فى كثير من الحزم والتشجيع لتنتعش نفسه ويهون الصعب أمامه فيصبح مقداما عالى الهمة ثابت العزيمة قوي الارادة



ضحايا الاضطراب العائلى

للدكتور أحمد شاهين

قام نظام الاسر لايجاد نظام اجتماعى مشترك بين الافراد رغبة فى التعاون علي الحياة والقدرة على مواجهة صعابها ، والاسرة فى حد ذاتها قائمة على التزاوج بين الجنسين وينتج عن ذلك الاطفال الذين هم ورثة الآباء والامهات والذين يكونون على التعاقب اسرا ، وبهذا يقوم النظام الاجتماعى الذى تدرج من القبيلة الى الدولة . ولا يخفى ما قد تم على هذا الاسلوب الاجتماعى من الطمأنينة والتعاون والقدرة على تربية الاولاد تربية صالحة تهيئهم لمواجهة الحياة ، والكفاح فيها ، والقيام بمجهود يساعد على مجهودها ثم ايجاد أفراد أصحاء عني بحالتهم الصحية لنشأتهم فى كنف أبوين يرعيانهم بالكثير من العطف والعناية

ولما كان الجو العائلى هو المجال الذى يتكون فيه الاطفال وينشأون متأثرين بما فيه من عوامل نفسية وخلقية وصحية كان أثر الحياة العائلية فى الطفل عظيما وكان علي التحقيق أكثر ما نشاهده من حالات شاذة سواء أكانت نفسية أو صحية نتيجة الحياة العائلية فى أيام الطفولة ، أكثر غرائزه وميوله وامراضه هى صدى ذلك الاثر الذي أحدثته الاسرة فيه ، ولست أريد أن أمهد لذلك بمقدمات طويلة حتى أصل الى هذه النتيجة فهذا موضوع قد قرر ودرس دراسة واسعة ، وتناوله كثير من علماء النفس والاجتماع والتربية بالبحث المستفيض والنظر الدقيق ، ووصلوا جميعا الي النتيجة التى أقروها الآن وهي أن الطفل الذى هو رجل الغد صورة صحيحة لحالة الاسرة . من هـذا يتضح لنا أثر الاضطرابات العائليه فى الاطفال وما تؤدى الى ضعف فى نفوسهم واخلاقهم وصحتهم ولهذا يجدر بنا أن نعنى كثيرا بحالة الاسرة وندرس العلل التى تقوم عليها هذه الاضطرابات وهي وان بدت كثيرة متشعبة متغيرة بتغير الطبقات والحالة والبيئة واسلوب التربية ، الا انه يمكن أن نحددها على قدر الطاقة ونرجع هذه الاضطرابات الى الاسباب الآتية

١ — تعدد الزوجات : لقد جاء الشرع المحمدى برسالة سامية كلها تيسير للبشر فاباح لذلك تعدد الزوجات منعا لاتخاذ الخليلات اللاتى لا يملكن من الحقوق قبل الرجل شيئا ، ولتخفف على الزوج

الالم الذى يحسه اذا كانت زوجه عقيما أو أصابها مرض طويل شديد ، على أنه مع أباحته هذا الامر قد حده بنص شرعى اذ أمرنا أن نتخذ واحدة فقط اذا خفنا الا نعدل . والعدل بطبيعة الحال ينصرف الى أشياء كثيرة غير أننا أسرفنا فى مسألة الزواج وكثرة تعدد الزوجات دون موجب حقيق لها

اللهم الا شهوة طائشة ، او رغبة زائفة اقامها خيال جامح سقيم ، ونتج عن هذا فوضى خطرة فى الحياة الاجتماعية ، قامت عليها ضحايا كثيرة ، فمن زوجة بائسة أهملها زوجها ، ورغب عنها ، واتجه بكلياته الى الاخرى يرعاها بعطفه ، ويحنو عليها فى شفقة وحب عظيمين ، ويكلأ أولادها بعنايته بينما أولاد الاخرى يشاركون أمهم بؤسها ، ويقاسمونها شقاءها ، فتنبت بذور الحقد فى قلوبهم على أخوتهم ، فينقلب الوضع المألوف فبدلا من أن تمتلىء قلوبهم بالحب والاخاء تفيض بالبغض والكراهية ، هذا فضلا عن اهمال تربيتهم ، وتركهم عرضة لعواصف الايام وتقلبات القدر الامر الذى قد يخلق فيهم مجرمين عنيفين فى الاجرام ، أو ضعافا تهدم كيانهم الامراض ، او ذوى نفوس ضعيفة لم تصقلها التربية والتهذيب وذوى همة هزيلة لم تشحذها الرعاية والترغيب ، فاى ضحايا يمكن أن تؤثر فى نظام الاجتماع تأثير هذه الضحايا ؟؟ وأى خطر نخشاه قدر ما نخشى هذا الخطر ؟؟ فالواجب اذن أمام هذه الفوضى التى لا يحد منها ضمير يقظ ، ولا نفس نبيلة تتألم لما يصيب الاخرين من الالم ، هو أن تعالج بتشريع يخفف اضرارها ، بنص فيه على تحريم تعدد الزوجات الا فى حالات خاصة كالعقم ، او المرض ، أو التشويه الطبيعى ، وما الى ذلك

٢ — عدم التوائم بين الزوجين . هذه حالة تقوم عليها مشاكل كثيرة فى الحياة العائلية وهى قائمة على سوء الاختيار ، سواء من الزوج او من أهل الزوجة ، فكثيرا ما نرى زوجين لا توائم بينهما البتة بل هما يختلفان فى أفكارهما وميولهما ورغباتهما واسلوب الحياة الذى اعتاداه ، وكما بينهما وبينهما مما يوجد هوة سحيقة وفراغا هائلا بينهما ، فلا يحسان الفة ولا حبا يربطهما ، ولا تتجاوب نفوسهما بعواطف الحب والائتلاف ، بل يشعران فى قرارتهما بفراغ عظيم فى حاجة لمن يشغله ، ولا شك انه يقوم على هذه الحالة كثير من الخلاف والشقاق فى جو العائلة لاختلافهما فى كل شىء ، وعدم امتزاجهما امتزاجا يؤدى الى الالفة والاتفاق اللذين هما لازمين لايجاد هناء عائلى ، وقد كثر هذا النوع من الزواج فى هذا العصر المادى ، فطالما شاهدنا فتاة صغيرة يدفعها أهلها الى أحضان رجل شيخ طمعا فى ثروته او سلطانه . وكثيرا أيضا ما نرى شابا طائشا أعماه حب الثروة فيبحث عن فتاة ثرية ظنا منه ان الهناء والسعادة

قائمان على المال فلايعنى بتعرف أخلاقها وطباعها ،فينتج فى أغلب الاحيان خلاف يؤدى الىالطلاق ومن ثم الي تشريد الاطفال وتنشئتهم فى جو لايحسان فيه اثر العطف والرعاية

٣ ـ أنانيه الرجل ومغالاة المرأة . لقد تقدمت الفتاة فى السنوات الاخيرة تقدما محسوسا وجارت الرجل فى أكثر ميادين نشاطه ، وهى مازالت دائبة فى رقيها وتقدمها بخطوات ثابتة مضطردة ونتج عن ذلك تغير فى أفكارها وآمالها ، ونظرتها الى الزوج والحياة الزوجية ، فهى قد أصبحت لاترى في الزوج الا شريكا يجب أن تقف معه فى صف واحد ، وأن يكون لها من الحرية ماله ، ومن الحقوق قدر ما يتمتع به ، فهى لاترى نفسها أقل من الرجل فى شىء بعد ما نافسته في أكثر ميادين الحياة ، غير أن هذا التقدم لم يصاحبه تسامح من الرجل ، فهو مازال متمسكا بحقوقه التى ورثها عن جدوده او هو لايقبل الا أن يكون صاحب السلطان فى بيته وأن تخضع المرأة لآرائه ، والمرأة المصرية ترفض هذا الاسلوب فيقوم على الخلاف ، ويشتد النزاع ، على أن طبيعة الانوثة تجعلها رغم ثقافتها وتقدمها كثيرة المغالاة فى كل شأن من شؤونها وهذا يزيد الحالة سوءا والشقاق حده

٤ ـ العصر المالى . لقد أصبح المال فى هذا العصر قوام الحياة وأدى هـذا الى أن أصبحت الاعمال والرجال تقدر بما تدره من مال ، فقد زادت تكاليف الحياة ، وكثر السكان فى بقاع الارض واشتد التنازع على الحياة وما يتطلبه من تكاليف ، وما يلزم للحصول على مايقوم بهذه التكاليف من جهد ، ويتضح من كل هذا ما يسببه العصر المالى للفرد من تنغيص وآلام تسىء الى حياته ، وتحيط الجو العائلى بهالة قاتمة لايرى خلالها وجه السعادة والهناء . وكثيرا مايزيد هذه الحالة مغالاة المرأة فى طلباتها . والحاحها فى تنفيذ هذه الطلبات . بل كثيرا ما يشتد الخلاف لاجل هذا ويصل الى درجة قد تؤدي الى الانفصال . وكم من طلبات كثيرة تافهة تتمسك بها وتأبي الا أن تنفذها والزوج المصر لايملك أمام هـذا التمسك الا اللاينة مرة . والشدة أخرى . وقد يؤدى هذا الى عواقب وخيمة لها أضرارها وضحاياها

هذه أهم الاسباب التى يقوم عليها أكثر الخلاف والشقاق فى جو العائلة وهي فى الحقيقة قد تؤدى غالبا الى نتيجة واحدة . هي الطلاق . ولست أريد أن أشرح فى اسهاب النتائج الخطيرة التى تنشأ عنه فهذا معروف ونرى كثيرا أمثلة مفزعة منه . غير أني وقد تصديت للبحث عن الاضطرابات العائلية وهى تنصرف بطبيعة الحال الى كل ما يفسد الجو العائلى ، ويبعده مما تتصور للعائلة من

كل . فانى أعرض لحالات أخرى ليست تسبب شقاقا بين أفراد العائلة فحسب ، بل تفسد العائلة بأجمعها ، وتهدم كيانها الاول . وتزرى بمحالتها الشخصية بين الناس ولاشك أن فساد العائلة على هذا النمط قد يؤدى الى افساد جزء كبير من المجتمع . وسأعرض مثالين من الامثلة الكثيرة التى يقوم عليها هذا الفساد

١ ـ وجود عنصر فاسد الخلق بين أفراد العائلة :

لقد أوضحنا فى أول هذه الكلمة أثر الجو العائلى فيمن يعيشون فيه . وأن أفراد العائلة تتشكل تبعا لاسلوب الحياة الذي تجرى عليه العائلة وعلى هذا يكون وجود فرد فاسد وسط العائلة له تأثير كبير فى بقية الافراد . اذ نرى أن الامراض الخلقية تنتقل بالعدوي النفسية بسهولة وخاصة عند الافراد فى طور طفولتهم الاول . اذ تؤثر فيهم تأثيرا قد يحولهم الى أن يتجهوا اتجاها فاسدا ومن ثم ينحرف أسلوب حياتهم . ويتحول الى ناحية الشر . يعزز ذلك ما انطوي عليه الطفل من قدرة على التقليد لكل ما يراه . ويقع تحت حسه فينتج عن هذا ضحايا أبرياء لاذنب لهم الا وجودهم فى جو يعيش فيه ميكروب خطر

٢ ـ الاضطرابات العقلية . لقد أثبت علماء علم النفس الباثولوجى والامراض العقلية أن اصابة أحد أفراد العائلة بمرض عقلى « كالبسيكوز » مثلا ينتج عنه فى أغلب الاحيان انتقال مرضه بطريق العدوى النفسية والوراثية الى من يعيشون معه او من يخرجون من صلبه . وينشأ عن ذلك اضطراب الجو العائلى . وانحلال البيئة المنزلية أثر ذلك يكون قويا على الاطفال لأنهم لايزالون فى طور التكوين . ثم هم فوق ذلك معرضون لاخذ أمراض والديهم بطريق الوراثة . لذلك منعت بعض الدول حفظا للنسل من أن يأتى وفيه علل الابوين ـ (الامر الذى يجعله عالة على المجتمع) منعت لذلك أمثال هؤلاء الافراد ضعاف العقول أو المرضى بامراض تؤثر فى النسل من الزواج . وعالجوهم بالتعقيم اوانتزعوا الطفل فى طوره الاول من وسط هذه البيئة المضطربة ليرعوه باساليب التربية التى تساعده على أن ينشأ نشأة صحيحة قوية

قد يطول بنا البحث ويتفرع الموضوع كثيرا لو شئنا أن نعدد كل حالات الاضطرابات العائلية ـ لذلك أكتفينا بان نعرض للحالات التى نراها تحت نظرنا بكثرة عظيمة وتمثل يوميا على مسرح الحياة

لقد شرحنا فى أول كلامنا أثر البيئة العائلية فى تربية الطفل ونشأته . وأود أن أشير هنا الى

بحث مستفيض وتجارب واسعة قام بها العلامة البلجيكي الاستاذ « روفيرا » وقد اثبتها في كتابي عن الاستشارات الطبية والعيادات السيكولوجية . لقد قرر الاستاذ « ليذ » الذي قام بتجارب على ما يقرب من خمسة آلاف طفل من بيئات متباينة وأخلاق مختلفة . منهم السارق والفاسق والمتشرد والمجرم والمدمن وما الى ذلك . قرر أن ٦٢ في المائة من هؤلاء الاطفال اكتسبوا هذه الاخلاق من البيئات التي نشأوا فيها . وأن أثرها كان قويا فيهم . وعندي بناء على ذلك أن أول ضحية للاضطراب العائلي هو الطفل رجل الغد وعدة المستقبل . وهذا له أثره البين على الهيئة الاجتماعية بأسرها . اذ كيف نتصور صلاح الاجتماع اذا كانت عناصره فاسدة ؟ وأى رقي اجتماعي يمكن أن نرجوه من أفراد هذا شأنهم ؟

لقد حتم القانون السويسري والبلجيكي انتزاع الطفل من بين أهله وعائلته اذا خيف على مستقبله ووضعه تحت رعاية الحكومة في ملجأ أو وسط عائلي صالح يقوم بتربيته شفقة وبرا واحسانا

وأود أن أشير أيضا قبل أن أنتهي من كلمتي الى ان كثرة الاضطرابات المنزلية كثيرا ما توجد عند الشبان والشابات آلاما نفسية تصاحبها خوف من الزواج . اذ تتمثل لهم الحياة العائلية في صورة مفزعة كلها آلام لاترى خلالها سعادة أو هناء . واذكر بهذه المناسبة أن صحيفة الماتان الفرنسية قامت باستفتاء عام منذ سنوات عن أسباب الاحجام عند الزواج . وقد عرضت مجموعة وافية من الآراء لكثير من رجال الاجتماع والقانون وعلم النفس نلمح فيها اتفاق الجميع على أن العلة تكون غالبا الاضطرابات التي يشاهدها الشبان والشابات ويسمعون بها مما يبدد أحلامهم وآمالهم الجميلة التي أقاموها في خيالهم على الزواج . وعلى هذا أصبحت الاسرة نفسها ضحية ، شأنها في ذلك شأن الطفل سواء

ضحية الاستبداد

للاستاذ يعقوب فام

كانت فتاة فى الخامسة عشر جالسة مع ضيوفها تتحدث اليهم وكانت أمها جالسة الى جنبها تساهم فى الحديث كما يليق بربات البيوت بازاء ضيوفهن ، ثم أسرت الأم الى الابنة بكلام قامت على أثره وعادت بدثار ثقيل تتدثر به ، فقالت الام هذا حسن وكأن الفتاة شعرت أنها مطالبة بشرح هذا الذى يدور بينهما فضحكت وقالت « ماما بتقول انى بردانة ويجب أن أتدثر برداء ثقيل »

هذه الفتاة لم تشعر بالبرد ولم يسمح لها أن تشعر به ، وإنما شعرت أمها به وكان هذا الشعور كافيا لأن تتدثر الفتاة

وكتبت دوروثى كانفيلد قصة اسمها « رب الاسرة » أحد أبطالها طفل فى الحول الرابع ودمية هى دب صغير يلعب به الطفل ، وقد لاقى الدب والطفل جميعا على يدى الام من التحكم والعنف الشىء الكثير وكان عنفها فى ظاهره رحمة وحبا وعطفا وحماية للطفل من الأمراض والآفات . وكان فى باطنه تحكما وتعسفا كاد الطفل يذهب ضحيته لولا كارثة حلت بالأسرة فابقت الوالد بالمنزل واضطرت الأم الى التوظف لكسب المعاش . وكان من شأن هذه الكارثة أن حولت المنزل الى نعيم مقيم يرتع فيه الطفل وينمو نموا طبيعيا معقولا

اذا كان الوالدون يحسون لأولادهم ويشعرون دونهم ، ويرسمون لهم السبل التى يسيرون عليها ولا يحيدون عنها ، فماذا بقى للاطفال من فنون العيش والحياة ؟ فماذا بقى لهم بعد أن حرموا حق الاتصال المباشر بالبيئة التى يقيمون فيها ، الا يصبحون دمى تتحرك متى أريد لها أن تتحرك وتنشط متى أريد لها أن تنشط ؟ وأين إذن الدوافع التلقائية التى يتصرف بمقتضاها الحى ، والتى ينشط لانها ثارت فى نفسه ولانه يريد أن يستجيب لها ؟

هذا التصرف من الوالدين يسلب الاطفال معنى الحياة فمناها أن الطفل يتصرف لانه قد ثارت بنفسه الداخلية عوامل تتطلب منه أن يتصرف لا لأن الغير قد أراد له هذا التصرف ، ثم بعد أن ينشط الطفل بناء على هذه الدوافع النفسية ينتظر النتائج من تصرفاته ، وانتظار النتائج هو الحياة باوفر معانيها ولقد كان أجدر بالام أن تترك ابنتها إلى أن تشعر بالبرد ، وبمعنى آخر إلى أن تنشأ فى نفسها بعض الدوافع والنوازع التى تحفزها إلى التصرف والسلوك بقصد تغيير البيئة أو تكييف نفسها

حتى تلائم البيئة المحيطة بها . أما أن تقوم الأم مقام هذه الدوافع ففيه حرمان ابنها من حق الاتصال المباشر بينها وبين البيئة

من حق الاطفال، بمعنى آخر أن يجوزوا الاختبارات بأنفسهم دون أن يجوزها عنهم البالغون . من حقهم أن يندمجوا فى البيئة وينصهروا فى الحياة ويتصلوا بها اتصالا وثيقا ويخرجوا منها بما يختزنون فى أجهزتهم العصبية من آثار تعينهم على الاستمتاع بالاختبارات اللاحقة والانسجام مع الحياة فى مجموعها . فالحياة حياتهم وهم الذين سيعيشونها ويقضون أيامها على هذه الارض ، وهم الذين سيواجهون اختباراتها ويمارسون تصاريفها ، وهم الذين سيتحملون نتائج تصرفاتهم . فلماذا يحال بينهم وبينها ؟ ولماذا يمنعون أن يندمجوا فيها وينسجموا معها ؟

الشخصيات لاتنمو فى فراغ بحال من الاحوال ، وإنما تنمو فى محيط وتنشأ فى جو ، وما دام الاتصال وثيقا بين الجو والطفل وما دام التعامل مستمراً والتفاعل مثلا حقا فلا بد أن تتفتح هذه الشخصيات مادام الجو أمامها فسيحا رحبا ، وما دامت لاتجد مايحد من نموها أو يعطله ، ووظيفة الوالدين أن يمنعوا البيئة أن تضيق بابنائهم لا أن يضيقوا هم الآفاق ويسدوا الطرق والمنافذ

كنت أراقب أما وطفلها فى خليج مستلئ بالرمل ، وكان الطفل يبلغ العامين تقريبا وكان يدفع أمامه عربة صغيرة تستعملها أمه فى نقله من مكان إلى مكان ، أمسك الطفل بالعربة وأخذ يدفعها كما تفعل أمه ولكنه لم يكن يدرى فنون القيادة فكانت العربة تصر على أن تسير حيث لايريدها هو أن تسير فكانت تندفع منه إلى الحائط وتقف أمامها لاتتزحزح فيجاهدها الصبي ليحولها عن مكانها ويقربها من جميع جهاتها عله ينصلها عن الحائط فكان يسقط ويقوم ثم يفقد صبره فيزمجر ويصرخ « أو يستغيث » ثم يعود إلى محاولته من جديد . كل هذا وأمه واقفة ترقبه ، كل همها أن تخلى بينه وبين الحياة ليتذوقها عن قرب ، ويتعامل معها ليخبرها بنفسه . سقط الطفل سقطة قوية وهمهم ، وكاد يبكى ويصيح وأمه تنظر إلى كل جهة إلا ناحيته، كأن ماهو فيه من شأنه الخاص لايعنيها منه شىء

والواقع أنه لو تدخلت أمه بينه وبين الاختبار لكان عملها هذا يعد تعسفاً وتعنتاً ، لايذهب ضحيته إلا هذا الطفل البرىء إذ أن من حق هـذا الطفل أن يتصل بالحياة وبالبيئة اتصالا وثيقا فيخبرها بنفسه وتعركه الحياة فيناهضها هو بما فيه من قوى وما له من مواهب دون سائر الناس وليس من شأن الناس أن تتدخل فيما بينه وبين بيئته لأن التعامل بينهما الى هـذا الحد تعامل فى حدود العقل والطبيعة والقوي بينهما متساوية متكافئة لايخشى معها أن تظلمه البيئه ، فما دام الحال على ماذكرنا فمن الظلم والاستبداد أن لايخلى الناس بين البيئة والطفل

هذا النوع من الاستبداد أدق وأبعد أثرا فى حياة الطفل لأنه استبداد مقنع يختفى وراء عواطف سامية تستطيع أن تجد مايبررها ونلتمس لها الاعذار . الاستبداد الصريح اوامنح يلمسه كل الناس وتجد منهم كثيرين يثورون ضده ويحاولون أن يقاوموه بالحديث والكتابة . أما الاستبداد المقنع الاستبداد الذى يختفى وراء العواطف النبيلة فهو أفعل فى النفوس من غيره لأن الناس لاتنتبه له ولاتحاول أن تقاومه بحال من الاحوال

والاستبداد المقنع هو هذا الذي أوردنا ذكره هو هذا الذى يكاد يحول بين الاطفال وبين الاختبار النفسى والاتصال المباشر بين الطفل والبيئة ويحول بينهما خوفا على الطفل وحبا له واشفاقا عليه . فكم من أم تمنع طفلها الانتقال من مكان إلى آخر فى القاهرة خوفا عليه من السيارات والترام فتضعف من استعداد طفلها لمواجهة هذا الخطر ، وكم من أم تخاف البرد على طفلها فتدثره وتربطه فى الملابس الكثيرة لكى لايتسرب إلى جسمه الهواء بحال من الاحوال حتى تقضى بذلك على قوة المقاومة فى جسمه وتضعف مناعته فيصبح عرضة لكل طارىء ضعيفا أمام كل نازلة . تحكم الأم تدثير ابنها لكى يصبح ممتنعا على الهواء فى نجوة من البرد فتقضى على كل نزعة فى جسمه للمقاومة أو للحركة . وأذكر أنى رأيت صبيا فى الرابعة عشرة من عمره يلبس قطعا من اللباس الواحدة منها فوق الاخرى بينما الصبى يزيد فى الوزن على صبيين من سنه

هذا الاستبداد المقنع هو الذي يحول بين الطفل وبين كل مسئولية فى الحياة تنجم عن تصرفاته وعن اتصاله بالبيئة وهذا بالذات مايذهب ضحيته الكثيرون من أطفالنا وذلك لأننا نجهل قدر الاتصال المباشر بين الطفل والحياة ونجهل أثره فى الطفل وضرورته له الى أن يصبح الطفل بعيدا كل البعد عن أن يضطلع بمواجهة الحياة باى شكل من الاشكال

كان أحد عظماء العالم مايزال طفلا ـ ولايذكر الكاتب مصدر هذه الرواية ـ عند ما اضطر أبوه لسفرة بعيدة فدعا الوالد ابنه وقال له « يابنى انى مرتحل الى جهة بعيدة وأترك أمك بعنايتك» ثم سافر الوالد وأقبل المساء وحل موعد النوم لهذا الطفل فركع بجوار سريره يصلى قبل النوم ، وكانت هذه صلاته « اللهم حافظ على والدي أينما حل وأما والدتى فسأتكفل بها أنا »

لقد كان هذا الطفل مستعداً لمواجهة الحياة وهو طفل فواجهها وهو رجل

الحق أن من أخطر أنواع الاستبداد أن يحال بين الاطفال وبين ضروب الاختبار المتباينة

التشجيع والتثبيط وأثرهما فى تربية الاطفال

للأستاذ محمد مظهر سعيد

قام أحد علماء النفس بتجربة طريفة يقيس بها أثر الشعور بالفشل وعدم التوفيق فى نفوس الاطفال وعلمهم وانتاجهم . وتتلخص فى أنه اختار عددا من صغار الاطفال بنين وبنات . ومرنهم مدة مناسبة على نظم خرز ملون فى خيط بنظام خاص . وقاس معدل انتاجهم بعدد ما ينظمونه من الخرز نظما صحيحا بناء على الطريقة المرسومة . ثم أعطى لكل منهم جائزة أو لعبة تصبح من حقه إذا عثر عليها فى الحجرة التى خبئت فيها اللعب كلها . وأخذ الاطفال يبحثون بجد واهتمام عن جوائزهم ولعبهم فى كل أرجاء الحجرة . ففاز بعضهم وفشل البعض الآخر لان الاستاذ لم يضع جوائزهم فى الحجرة عمدا . وعاد الجميع الى عملية الضم مرة أخرى ـ الفائزون فرحون ممتلئون نشاطا وحماسة والفاشلون حانقون متخاذلون . ثم قاس انتاجهم للمرة الثانية . فوجد أن الفريق الثانى على الاطلاق ـ فريق الفاشلين ـ قد انحط متوسط انتاجهم عن المرة الاولى بدرجة كبيرة فضلا على ما كان يظهر عليهم من شدة القلق والاضطراب والشعور بالضيق والغيظ فى أثناء العملية وكثرة تفكيرهم فى الموضوع السابق الذى فشلوا فيه . فى حين أن معظم أفراد الفريق الاول الذين حصلوا على لعبهم وجوائزهم زاد معدل انتاجهم وظهرت على وجوههم علامات السرور والاطمئنان . ومن هذه التجربة البسيطة يتبين لنا مبلغ أثر الفوز والتشجيع فى زيادة انتاج الاطفال من جهة . والاثر السىء الشديد للفشل والتثبيط ، وما يترتب عليه من شعور بالضيق والارتباك وكثرة الخطأ وقلة الانتاج من جهة أخرى . واذا كان هذا هو الحال فى ظرف بسيط كهذا كل ما فيه لعب تعطى تشجيعا للاطفال وليست من حقهم ولا من ملكهم الاصلى ، وعملية آلية لا تحتاج الى تفكير أو تصرف كضم الخرز ، فما بالنا بظروف التربية المعقدة التى تتكرر كل يوم حتى تشغل كل حياة الطفل وتستنفد كل نشاطه ، وتتطلب منه اهتماما وتفكيرا . وليس من شك فى أن التشجيع المعقول وفى الامور التى يكون عند الطفل استعداد طبيعى لها وفى استطاعته القيام بها له أثر كبير فى تقدمه وتعليمه . قد يحاول أن يمارس الامور الصعبة ويحاول جهده أن يتغلب عليها . ويهديك

النجاح البسيط تفاؤلا فى العمل وثقة فى النفس وهما من أهم العوامل التى تؤدى الى النجاح وتساعد على تكوين الشخصية التى نطمع فى أن تكون لاولادنا . وفى الحق أن الطفل لفى أشد الحاجة الى من يشجعه ويأخذ بيده ويرشده الى الطريق السوى فى روح مرحة وشىء كثير من الاناة وسعة الصدر ، منذ نشأته الاولى الى أن يبلغ أشده ويستطيع أن يسير بنفسه فى الحياة ويختط لنفسه طريقة فيها . فهو فى كل شىء يتعلم من حركة يقوم بها بدنه كالمشى والكلام ، أو عملية ومهارة حركية يكتسبها كالكتابة والرسم أو امر عقلى يعالجه كالتفكير فى حل المسائل أو معلومات يحصلها كالعلوم المدرسية أوعادات يتقنها يحتاج الى من يشجعه المرة بعد المرة ويغض عن هفواته ويتجاوز عن فشله فى محاولاته الاولى ثم يطريه ويثنى على مجهوده اذا فاز ونجح بعض الشىء .. ولذلك كان من أهم ما نادى به جان جاك روسو الفيلسوف الثورى المعروف من منافسة الانسان لنفسه . فيحاول الطفل أن يقوم فى كل يوم بما يفوق ما قام به فى اليوم السابق أو المرة الفائته بعض الشىء ولو بقدر ضئيل . فان تذوق طعم النجاح مرة يدعو الى طلب استمرار النجاح . والعمل البسيط الذى يقوم به الطفل بمجهود بسيط فيشجعه على الاعمال الجسام التى تتطلب منه الجهود الجبارة . يبذلها طواعية وفى لذة وشوق ما دام يشعر فى نفسه بالاطمئنان الى النتيجة . بل ان طريقة علاج الامراض التى ابتكرها الدكتور الفرنسى « كوويه » والمعروفه باسمه « كووزم » لتقوم كلها على هذا الاساس فالمريض يقول لنفسه كل يوم عدة مرات بنظام خاص « انا اليوم من جميع النواحى أشعر بأني احسن حالا » أو يقول « كنت مريضا وتحسنت قليلا واليوم تحسنت أكثر وغدا سأتحسن اكثر واكثر » وقد تكون فى نظر البعض طريقة غير منتجة ، ما دام الناس قد ألفوا الطب والدواء فى معالجة الامراض . ولكن مما لا شك فيه أن استهواء الانسان لذاته وتشجيعه لنفسه بنفسه لابد أن يحدث شيئا من الشعور بالارتياح والاطمئنان ، ان لم يكن سببا فى شفاء المرض كلية فعلى الاقل يصبح عاملا مهما فى تخفيف ألمه وازدياد المقاومة وهذان هما ما يتطلبه الطبيب من جانب المريض . والمدرسون يعرفون مبلغ أثر التشجيع المتواصل فى تحسين عمل التلميذ الضعيف وتقدم المتأخر اذا كان عنده استعداد للتقدم

يقابل هذا بل يقوم معه على طرف نقيض . ان تثبيط الهمة وكثرة النقد والعقاب على الخطأ تقتل فى التلميذ دافع الاقدام وتبعث اليأس الى نفسه . وتكون فيه شخصية خاملة يائسة مضطربة وتجعله يتوقع الفشل فى كل ما يقوم به وتجعله متشائما . وهى شخصية هدامة حائرة غير منتجة

نريد أن نبعدها عن أطفالنا كل البعد اذا أردنا لهم تقدما وفلاحا فى المستقبل . بل أنها لتقتل استعداد التلميذ وان كان قويا بطبيعته . أضف الى هذا أنها قد تجعل من الطفل القوى الشخصية بطبيعته شخصا ثائرا يشعر بالاضطهاد غير المشروع ويعمد الى أخذ الثأر من أى طريق . فيخرج على نظام الدرس والمدرسة والبيت وينصرف الى نواح أخرى ليست من التربية والتعليم فى شىء ومن الاطفال من تكفى كلمة تشجيع واحدة أو نظرة عطف أو عبارة ثناء وتقدير لتنقلهم من حال الى حال ـ وخصوصاً الاطفال العصبيين أو الضعاف البنية . كما أن نظرة التوبيخ أو عبارة النقد أو ضيق الصدر أو التسرع فى الحكم واظهار الاستياء من جانب المدرس تكفى لان تقفل أمامهم الطريق وتنفرهم من الدرس وعمل المدرسة . وكثيرا ما نرى أطفالا نجباء يعرفون الشىء ولا يجرأون على اظهاره لمجرد أن المدرس لسبب ما أو ظرف خاص ثبط هممهم وفت فى عضدهم وصور لهم الفشل محتما والنجاح مستحيلا . ومن الغريب أن الآباء المصريين مغرمون الى حد كبير بتشجيع أبنائهم الى حد كبير أمام الغير من أقارب وزوار فيطلبون منهم أن يغنوا أناشيد المدرسة ويسمعون المحفوظات ويباهون بدرجاتهم الشهرية وشهاداتهم المدرسية ويظهرون محاسن ابنائهم ونقط القوة أمام الغير

فاذا ما انفض المجلس وانتهت الزيارة وعادت الامور الى نظامها الطبيعي اظهر الآباء تمللا وتبرما من اسئلة اطفالهم وتملصوا من مساعدتهم فى أعمالهم وارشادهم الى الصواب . وغالوا فى تعنيفهم وتوبيخهم وربما عاقبوهم على اقل هفوة يرتكبونها . وأقل ما يقوله الوالد الغاضب المحنق لولده انه لايصلح لشىء وأنه بليد وغبى وأنه ليس مثل أبيه وأنه لايرجى منه فائدة . وغيره من العبارات التى تكون كالماء البارد يصب على حرارة التحمس فتقتل النشاط وتفت فى العضد

واذا كان من الطبيعى أن يحسن الاطفال أشياء ويخطئوا فى أشياء أخرى ، وان الاصلاح لا يأتى دفعة واحدة مهما كان الامر شديدا والعقاب قاسيا ، وأن التعلم عملية تدرج ونمو وارتقاء ـ فيها فترات تقدم سريع وفترات خمول وركود ، فمن الطبيعى أيضاً أن نحسن استخدام الظروف وننتفع بقوة اثر الاستعداد فى نفوس صغار الاطفال على الخصوص ، فنشجعهم على اجتياز العقبات اذا صادفتهم وكان فى مقدورهم التغلب عليها ، ونثنى على أعمالهم بالقدر اللازم الذي لا يدفعهم الي الغرور والاستهتار بالامور الهامة ، ونعطيهم أحيانا من الجوائز والثواب المادى والادبى مايحفزهم

على الاستمرار فى بذل الجهود واضطراد التقدم والفلاح ـ والانجليز يقولون بحق « لا شىء ينجح أو يضطرد كالنجاح » كما انه كما يقول عامة المصريين « تقاوى التوم توم »

لهذا كله تنادى التربية الحديثة قبل كل شىء بأن يكون التعليم انفراديا حتى يستطيع كل متعلم أن يسير بسرعته الطبيعية ويقوم بما تمكنه قواه واستعداداته من القيام به بصرف النظر عن الآخرين . لان الاطفال يختلفون فى ذكائهم ومداراتهم واستعداداتهم وفى وحداتهم وامزجتهم وكل منهم يحتاج الي نوع خاص من المعاملة يتناسب ووجدانه ومزاجه . فاذا راعينا هذا وأحسنا تشجيع كل طفل بالقدر الذى يناسبه وتجنبنا جهد الطاقة العنت فى عزائمهم وتثبيط هممهم . أدينا رسالة التعليم على وجهها الصحيح وأصلحنا امزجة أطفالنا وكونا فيهم شخصيات مرحة متفائلة تبسم فى وجه الصعاب وتتحمل المشاق فى صبر ورضى . واذا كنا ونحن كبار تكفينا عبارة التشجيع من الرؤساء وقليل من التقدير لاتاجنا المضى فى سبيلنا غير آبهين بما يعترضنا فى حين أن النقد اللاذع وتثبيط الهمة يقتل فينا روح الهمة والعمل ويورثنا مقتا لرؤسائنا وينفرنا من عملنا فنصبح متبرمين بالدنيا ومن فيها ، فما أشد حاجة هؤلاء الاطفال الصغار الى التشجيع والاخذ بالحسنى

وغاية ما اقوله للآباء والمربين والمدرسين أن التشجيع المعقول يذلل الصعاب ويزيد الانتاج . كما ظهر أن التثبيط يميت النفس ويقتل الهمة . فاتقوا الله فى اولادكم فلذات اكبادكم

ضحية الاضطراب العائلي

للدكتور بنيامين بيهان

كما أن للبدن امراضا كذلك للنفس علل ولا تقل أهمية الواحدة عن الاخرى فسلامة صحة النفس تحقق للانسان غايته التي ينشدها من الحياة وهي « السعادة والمقدرة » – ولا أقصد بالمقدرة هنا الكفاءة على العمل والنجاح فيه ولكن مقدرة الشخص على مجابهة مشاكله الشخصية مهما كان نوعها وحلها حلا مرضيا وهذا غير متوافر للسواد الأعظم من الناس

وأهتمام الناس – خصوصا في بلادنا – ما زال الى هذا اليوم منصرفا الى العناية بالصحة الجسمية دون الصحة العقلية فنرى التقدم عظيما في تعدد وسائل تشخيص أمراض الجسم ومعالجتها وطرق الوقاية منها ومحاربة جراثيمها وتطهير الاماكن الموبوءة بها أما العناية بالصحة العقلية فتكاد تكون معدومة لشدة جهل الناس بقيمتها

ولعلل النفس مظاهر عديدة منها ما نلاحظه في نقص أخلاق الفرد والتي بسببها تتكون أمراض الهيئة الاجتماعية ومنها ما تسبب له آلاما شخصية شديدة في أعماق نفسه وتكدر صفو عيشته وتجعله عيالا على المجتمع مفسدة له – وهذه العلل عديدة متنوعة معروفة للجميع منها ضعف الارادة والافتقار للشجاعة الادبية وعدم الشعور بالمسؤولية أو الهرب منها وما يتخلف عنها كالجبن والكذب والتملق وعدم الصراحة والغش والنفاق وعدم التسامح و لانانية وحب الانتقام والظلم . وجميع هذه الصفات الخلقية الذميمة سببها أمراض في النفس تصيبها عادة في الطفولة وجراثيمها تنمو وتعيش في جو الحياة المنزلية الموبوءة وأكثر هذه المنازل وباء هي التي يعوزها الاستقرار العائلي وضرر هذه المنازل على الأنفس يعادل ضرر المستنقعات الموبوءة على صحة الجسم . ومن الضروري ايجاد وسائل فعالة لتطهيرها كما فعلنا في الأخيرة

والوسائل التي نتبعها لعلاج هذه الامراض هي . إنماء ذكاء الفرد بتثقيفه وتعليمه – ونقد ما به من الخلق المعيب ولومه عليه . وهذه الوسائل دون غيرها ليست كافية ، ولا يتعذر على القارىء ملاحظة ذلك اذا هو فحص عن نفسيته مليا وتأمل في تصرفاته اليومية وأخلاقه بصراحة وبدون تحيز ورأى كيف أنه مراراً يندفع الى عمل ما يجلب له الذم والنقد ويفشل عن أداء ما يرغب فيه ويريد فيمالق الرئيس ويجاريه رغم مخالفته له الرأى ويتعجرف على المرؤس ويظلمه بدون مبرر ويكذب

لسبب ولغير سبب ويساق الى تأدية واجبه . ويحقد لأتفه الاسباب ويميل الى الانتقام وهو يتصرف هكذا مع جيد معرفته ان هذا العمل وضيع لا يرضاه لنفسه فاذن لا المرونة ولا الرغبة يعوزانه حتى ذكاءه الذي يعول عليه لا يجد منه بازاء هذه الحالة فائدة عملية ولكنه يستعمله عادة للبحث عن مبررات لفشله المعيب

فالطريقة الفعالة إذاً لعلاج هذه الأمراض علاجا ناجعا هي خلاف ما نتصور وإنما لها علاجات أخرى ليس شرحها من اختصاص موضوعي هذا الذي أبحث فيه طرق الوقاية منها تطهير الجو الموبوء الذي فيه تنشأ وتنمو وتتثبت في أعماق النفس : جو الحياة العائلية وعلى الاخص الحياة المضطربة الغير المستقرة

ولأطفالنا علينا واجب مقدس وهو أن نقيهم ما نشكو ونتألم منه ولكن جهل الوالدين كثيرا ما يحدو بهم الى الاساءة الى أطفالهم عن غير قصد

الطفل حاد الملاحظة شديد التأثر بالبيئة التي تحيط به . يحس بضعفه وعجزه ولكنه يجتهد ليخلص نفسه من هذا الشعور محتاجا في ذلك الى ما يشعره بالطمأنينة ضد الخطر في جميع محاولاته وهو يتخذ لنفسه بين الكبار مثلا أعلى يقتاد به ويقلده فيختار والديه كمثله الاعلى فيراقب حركاتهما وتصرفاتهما باهتمام مقلداً إياهما ما أمكن . والواقع أن جزءاً كبيراً من تشابهات الطفل لوالديه ومما ننسبه الى الوراثة هو اكتسابي نشأ فيه من تقليده إياهما في طفولته فشابههما في كبره . فاذا كان الوالدان في تصرفاتهما حول الطفل ومعه مثلا عاليـاً حقاً واتبعا معه طريقة حازمة عادلة معقولة لا تناقض فيها نشأ عالي النفس صحيح العقل سعيداً خالياً من العلل الخلقية ، والامراض النفسية وهذه حالة لا يمكن توافرها في جو عائلي مضطرب وحياة زوجية خالية من الاستقرار كالتي تؤثر في الطفل حتى قبل ولادته أحيانا

الزوجة في حالة الحمل تكون احوج الى عطف زوجها أكثر منها في أي وقت آخر فاذا اعوزها ذلك تراها تتألم نفسيا من قسوة زوجها واهماله اياها ومما يخامرها من شكوك في سلوكه فتقضي مدة حملها في نكد وكدر وبحالة نفسية مرتبكة . وفي اعتقادي أن لهذا أثراً في خلق الطفل لما يتسرب الى نفسيته من نفسية امه ابان حملها فيولد الطفل وعنده استعدادات لبعض العلل النفسية والنقائص الخلقية

غير أن الطفل في حداثته تكون نفسيته مرنة قابلة للاصلاح اذا ما نما في جو عائلي سليم صحيح . أما إذا كان الامر خلاف ذلك نما ضعيف الخلق عليل النفس

واما الزوجان اللذان يعوزهما الحب والثقة المتبادلة فلا يمكنهما اتباع خطة منظمة عادلة غير

متناقضة فى تربية طفلهما فتري الام عادة تكثر من العطف والحنان والاب من الشدة والقسوة فيحظر أحدهما ما يبيحه الآخر وقد يستعملانه سلاحا لمحاربة أحدهما الاخر وبينما نجد الواحد منهما يحرم على الطفل أمرا مرة يبيحه له مرة أخرى بغير سبب معقول . وهذا مما يربك عقل الطفل إذ لا يعرف بالضبط ما يجب عليه عمله وكثيراً مايتوقف ذلك على مزاج والديه المتقلب . حالة هذا شأنها تبث فى نفس الطفل صفة التردد وعدم الثبات والافتقار لشدة العزيمة

سلطة الوالدين على الطفل التى قوامها احترامه لهما وعطفهما عليه ضرورية لتربيته وقيادته وهى بطبيعة الحال مفقودة للوالدين المتنازعين . وهما فى نزاعهما ومحاربتهما بعضهما البعض يستعملان طرقا دنيئة وضيعة كالغش والنفاق والكذب ولا يخفيان هذه الوسائل عنه بل كثيراً ما تجدهما يشركانه معهما فى ذلك فيغريه أحدهما للدفاع عنه ضد الآخر بذات الوسائل . فينشأ معتاداً استعمالها كطريقة للدفاع فى الحياة مثلما فعل والده فيغش ويكذب وينافق بحكم العادة وفى كبره يجد من حكم هذه العوائد المتأصلة فيه قوة حائلة أو قيودا مانعة اياه عن مجابهة مشاكله بالصراحة والشجاعة كما يريد

والطفل الذي يري أن والديه عديما العطف بعضهما على بعض وقليلا الثقة كل منهما فى الاخر وهما أحب الناس وأقربهم اليه يصعب عليه أن ينشأ حسن الظن بالناس ميالا الى خدمتهم أو التعاون معهم والثقة بهم بل يكون اميل الى الانانية والانتقام وقلة التسامح وكثرة التشكك فى الغير ـ والام التى فى كثير من هذه الاحوال تكون مغلوبة على امرها تركز عطفها وحنانها على الطفل مستعيضة به عما تفقده من حب زوجها فتبث فيه روح الضعف وعدم الجرأة ثم التمسك بالعواطف الكاذبة

رأينا الآن أن أخلاق الطفل يضحى بها فى الحياة العائلية المضطربة والتى نعرف مدى تأثيرها فى الاجتماع والآن نرى ما ينجم عن ذلك للفرد نفسه

قلت فى صدر مقالى ان السعادة هى غاية ما ينشده الانسان فى حياته والسعادة لا تتحقق له إلا إذا كان له السلام فى داخل نفسه . ولكن الانسان الذي تري فيه الخلق السيء لذنب لم يقترفه وتأصل فيه فى طفولته فيجبره على اتيانه مراراً رغم كراهته له لا يمكن أن يكون سعيداً نظراً للنزاع المستديم فى داخل نفسه بين معرفته بالخلق الحسن ورغبته فى العمل به وبين القوة المانعة لذلك او الدافعة لعمل الضد . فيتألم من ذلك آلاما نفسية عميقة أشد كثيراً من الآلام الجسمية . ولو جردنا الناس من مظهرهم الخارجى لرأينا أن كثيرين منهم ممن نحسدهم على مالهم ونجاحهم ومرحهم الظاهري بعيدين عن السعادة الحقيقية لنفس السبب

فهل يقدر الوالدون مقدار ما يجلبونه على أطفالهم بتهاونهم فى حياتهم الزوجية وهل يدركون أن الاخلاق والسعادة ـ أثمن شيئين فى الحياة ـ هما ضحية عدم استقرار الحياة العائلية

ضحية التثبيط

للسيدة زاهية متولى

للخمس السنين الاولى من حياة الطفل أهمية عظمى فى تكوينه لشدة حساسيته وسرعة تأثره فالملاحظات التى يبديها الوالد اليه أمام الطفل لها اثر فعال فى تكوين سلوكه وكثيرا ماتنتج هذه الملاحظات أضراراً بليغة فالطفل الذى ينشأ فى أسرة جميع أفرادها يعتقدون أنه غبي لايمكنه أن يقوم بأي عمل من الاعمال فهو لايقدم على عمل شىء إلا ويسمع من عبارات التثبيط مايرده عن غايته فتقول له أمه « لاتقدر » ويقول له أخوه الاكبر « ألم أقل لك انك عبيط لايمكنك عمل شىء ؟ » وهكذا تبدأ الفكرة من الكبار وتنتشر فى بنية الطفل عوامل التثبيط تؤثر فى غدواته وروحاته فينشأ وليس له فى بنيته مايشجعه على التقدم لأي عمل . بل كل شىء يحيط به يعمل على تثبيط همته فى جميع خطواته فلا يلبث أن يشعر بالخطر الذى يهدده فى سيطرته على ألعابه ومعاملاته ويرى أنهم يرمون إلى منعه من حقوقه بهذا التثبيط فيتمرد على بيئته ويصبح سلوكه دفاعياً ويعتقد أن الجميع يعملون ضده يتوقع ان الخطر من كل جانب أتى إذا لم يأت فينفجر فى الجميع انتقاما لنفسه ويتوجه بجميع أفكاره إلى طريق التخريب والاتلاف والمشاكسة ويصبح ذا روح عدائية لمن حوله ويعدم الثقة بنفسه

وتنشأ فى بيئة الطفل ظروف عديدة تدفع الطفل إلى الغيرة فمقارنة أعماله بآخر إذا كان هـذا أخاه أو صديقه أو جاره فيضيق الوالدان على الطفل الخناق فى جميع أعماله فيسمع جملا مختلفة معروفة بين الجميع فيقول الوالد لطفله « أنظر إلى محمد هو أشطر منك » أو « ألاترى أخاك يعمل كيت وكيت ؟ » أو « انى لا أحبك لأنك لاتعمل مثل احمد » أو غير ذلك من الاقوال المتداولة فى المنازل المصرية فمقارنة الطفل باخيه على النحو الذى ذكرناه يثبط عزيمته وتدفع فى نفسه روح اليأس والغيرة من غريمه الذى بوجوده يشعر فقد عطف أمه وحنانها وكثيراً ما يشتط الطفل الغيور فى غيرته لدرجة تفقده توازنه الخلق فيصبح فى حالة عصبية كبيرة عن سواه ولايعمل لمساعدة من فى المنزل ويظن أن الجميع ضده فيشعر بالوحدة وتمتلىء نفسه بالحقد والبغض . وعلى الام أن تراعى هذه الاعتبارات فلا تمدح أعمال طفل دون آخر ولا تجعل ميزان عطفها يميل ناحية أحد الطفلين ولا تكثر من لومه على أخطائه أمام أحد . فكل ذلك يجعل الطفل يشعر بعدم محبة من حوله له وعدم اكتراثهم به

ويجعله يعتقد أن أمه قد قصرت فى حقه من جهة العناية به فتثور ثائرته ويحاول جلب انتباه الناس اليه بشتى الطرق فيعمد إلى العصيان وأعمال التخريب والايذاء وما شاكلها .

وكثيراً مانسمع الأطفال يتفوهون بألفاظ فيها الخوف وعدم الثقة بالنفس فاذا طلبت منهم عمل شىء كان الجواب « لا أقدر » وإذا سألت السبب قالوا « ان ماما أو بابا قال لا يمكنى » فبذلك ينشأ الطفل ضعيفا فى ادارته متردداً فى أموره خائفا من مصير أعماله ليس عنده الاقدام والجرأة على الاعمال فى مستقبله فالأم العاقلة يجب أن تعطى طفلها الفرصة الكافية كى يقدم على مختلف الاعمال بجرأة وشجاعة وأن تشجعه على اعادة الكرة لو خاب عمله فى المرة الاولى ولا تجعل لليأس سبيلا الى قلبه ولو فى أتفه الأمور وبذلك نجعل من الطفل معلما لنفسه بنفسه

ويجب على الأم ألا تثقل كاهل طفلها بالالعاب التى فوق طاقته والأحسن أن تنتقل به تدريجيا من الالعاب السهلة إلى الصعبة فالأصعب بعد أن تكون أعطت عضلاته الفرصة الكافية لتقوى بالتمرين المستمر . ويجب أن يمتد تمرين الطفل أيضا إلى الاعمال الاخرى كالباس نفسه وإطعامها خطوة خطوة حتى يتم له اتقان ذلك . وإنا نجد كثيرات من الامهات لا يدركن كل هذا فيساعدن أطفالهن حتى بعد أن يكبروا فى قضاء جميع حاجياتهم مما يساعد الطفل على الكسل وتعود الاتكال على الام والخادمة فى خلع ولبس ملابسه بل فى وضعها فى مكانها اللازم فيشب على هذه العادة الى أن يصير رجلا ، إذ ذاك يرى نفسه عاجزاً عن تنظيم نفسه واذا قدر له أن يكون بعيداً عن أهله فانه يجد صعوبات عظمى فى تعويد نفسه النظام من جديد ويمتد هذا الاهمال من ملبسه ومسكنه الى عمله ويفقد كثيرا من احترام الناس له وإذ ذاك يندم على ما كان فى تربيته الاولى من نقص ويلوم أمه فى عدم تعويده من الصغر عادة الترتيب والاعتماد

فالطفل بطبيعته يحب الحركة ويدفعه حب الاستطلاع الى اختبار مايحيط بيئته من أثاث وأدوات وكل مايقع عليه نظره فهو يحب أن يجرب كل شىء بنفسه ويميل الى اظهار شخصيته وغالبا تكون رغبات الام بعكس مايرغب فيه الطفل فتمنعه من محاولة الاستطلاع إما خوفا عليه أو خوفا على الاثاث من التلف وفى كلتا الحالتين يتساوى الضرر على الطفل . وربما نتج عن هذا المنع صراخ الطفل وعويله بدرجة تزعج الام فتذعن لمطلوبه أو تنزل عليه العقاب وكان الاجدر بها أن تتركه يشبع غريزة حب استطلاعه بمراقبتها وارشادها ولا تثبط عزيمته بهذه الطريقة أو غيرها

والطفل الذي يرى أمه تنظف بعض آنيته فيريد مساعدتها حباً منه فى إظهار نفسه فيرفع الآنية فتسقط من يده فيكسرها فتغضب أمه وتشتمه وتضربه حانقة عليه لانه كسر الكوب وتحرص بعد ذلك على أن تمنعه من لمس أي شيء من الآنية أو التدخل فى أى شيء بمساعدة أحد فيكون ذلك نذيرا للطفل بان عدم الاقدام على المساعدة هو الطريقة التى بها يسلم من العقاب فينشأ الطفل ولارغبة تدفعه الى مساعدة عشيرته وقومه ويكون خاملا عديم الفائدة للمجتمع وسرعان ماتشعر الام بخطئها عند ماتطلب منه المساعدة فى المستقبل فتكون النتيجة الامتناع عن تلبية هدا النداء ولاتشعر الام حينذاك أنها هى السبب فى احجام الطفل عن مساعدتها بل ترميه بالكسل والخمول وتعاقبه على عدم اطاعة أوامرها

فعلى الام العاقلة التى تريد تربية طفلها تربية صحيحة أن تنظر الى عواقب هذه الامور نظرة بعيدة فتعلم الطفل تعليما ايجابيا بدلا من تعليمه تعليما سلبيا فاذا كانت مشغولة فى ترتيب أوانيها فعليها أن تجد لطفلها شيئا يعمله كى ينشغل عنها . أما اذا كانت تريد تعليمه مساعدتها وتشجيعه على مساعدة غيره فعليها أن ترشده الى خير طريقة يضمن بها نجاح مهمته الصغيرة ولاتثبط عزيمته فى أى عمل من الاعمال ولو كان بسيطا ويجب أن تتحمل هى بعض الضرر فى سبيل تدريبه وتشجيعه على الاقدام على مختلف الاعمال فبذلك ينشأ الطفل كما تحب أن تراه



ضحية التدليل

للاستاذ احمد زكي محمد

من المشاهد المعروف ان الطفل الصغير يختلف سلوكه باختلاف الاشخاص الذين يحتكون به فهو يفزع ويتهيج بين ذراعى شخص عصبى المزاج . بينما يهدأ بمجرد ان ينتقل الى يدي شخص ذى تجربة وثقة بنفسه

وليس هذا مقصورا على صغار الاطفال بل هو حقيقة ملموسة فى كبارهم . فاذا فهمنا الطريقة الملائمة للتعامل مع الاطفال زالت العقبات لذا كان لزاما أن نطلب المعرفة التى تنير السبيل أمامنا فقد تضيع جهودنا سدى لاننا لم نتفهم طبيعة الصعوبة التى نحن بصددها . فاحيانا نبالغ فى مساعدتنا للطفل حين تكون رغبته أن يستند الى نفسه . وتارة نكثر من نقده وتقريعه وقت أن يكون أجدي أن نتركه وشأنه . وآونة نستسلم اليه فى ضعف بينما يكون الحزم واجبا ـ وبمثل هذه المواقف نخلق الصعوبات للمستقبل

وغالبا ما يظن أن سعادة الطفل تتوقف نسبيا على مقدار الحرية الممنوحة له فى أن يفعل ما يشاء فى حين يظن أن النظام ووسائل التربية فى المنزل تحدد من هـذه الحرية ولذلك تقلل من سعادة الطفل ـ ولكن ليس هناك ما يحملنا على الاعتقاد بهذا الرأى سوى اعتقاد آخر باننا قد أسأنا فهم طبيعة الطفل لأن طاعة الطفل لقانون عادل منظم تكسبه الحرية بمعناها الصحيح ولانه بتشجيع ميوله السامية وباضعاف الدنيء منها تجلب له السعادة الحقيقية وتبرر خضوع الطفل لمثل ذلك القانون بانه يساعده على ترويض طبائعه كما تزيد فى كفاءته الخلقية فى أدوار نموه وتدرجه نحو استكمال رجولته فضلا عن أنه يضمن كمال حياته ومتاعه فى أثناء طفولته

ولو أخذ الآباء والامهات والمربون بهذا الرأى الاخير من الجمع بين حبهم الطفل ورغبتهم فى تشكيله على أحسن ما يستطاع لاهتدوا الى القانون الذى يوصلهم الى غرضهم وهو قانون يمليه مجرد تحكيم العقل السليم ويختلف فى وقائعه ـ لا فى جوهره ـ باختلاف الاطفال وطبائعهم الجسمية أو العقلية . واذ ذاك يكفون أنفسهم شر ما يصيب الطفل من جراء تدليله

أنظر الى الام الحنون يبكى طفلها فى مهده بالليل . فتأخذها الشفقة عليه من كل قلبها فتحمله بين يديها وتقدم له ثديها فى وقت لايحتاج فيه للرضاعة فيغلبه النعاس وينام تحت تأثير هذا العلاج الوقتى . وتتكرر هذه العملية ليلة بعد أخرى ويتكرر العلاج تبعا لها فلا يلبث أن يصير عادة تحرم الام راحتها فى أثناء الليل وتفسد على الطفل ساعات نومه التى يجب أن يستمتع بها حتى ينمو ويصح بدنه وتلك اولى أخطار التدليل . والطفل الذى ينشأ على هذا النحو ينشأ غالبا عليل الجسم فيزيد حرص أمه عليه والمبالغة فى وقايته من الحر والبرد فتقل مناعته وتضعف مقاومته ويصير عرضة للامراض

واذ ذاك تزيد الشفقه عليه . ويحرص الوالدان على عدم اغضابه مراعاة لصحته ولا يألوان جهدا فى تحقيق رغباته فتراه يريد أن يستأثر بكل مايقع عليه نظره ويبكى ويصرخ اذا حيل بينه وبين مايريد حتى يجاب الى طلبه . فتربي فيه الانانية الممقوتة اذ يقاتل أخوته ويشاجنهم ليفوز بما لديهم وعندئذ تزول الالفة بينهم وبينه ويفقد روح التعاون التى يبنى عليها أساس الحياة الاجتماعية

ومتى بدأ حياته المدرسية فانها تكون غريبة مكروهة منه لانه لايجد فيها من التدليل ماتعوده فى البيت ولا يستطيع أن ينال كل ما تمتد اليه يده ولا يقدر ان يتحكم فى زملائه تحكمه فى أخوته أو الملتصقين به فى منزله فيقضى نهاره فى المدرسة على مضض حتى اذا ماعاد الى البيت رجع الى سيرته الاولى محاولا التخفيف عن نفسه فتجده يرمي بملابسه فى أى مكان من المنزل وتأتي الام عن سلامة نية وشفقة فتجمع ما تناثر من تلك الملابس وترتبها فى المكان المخصص لها . واذ ذاك يعلم الطفل أنه غير مسئول ولا محاسب عن عمله وانه ليس من واجبه أن يقوم بتنظيم حاجياته . ونلاقي مثل هذه الصعوبة معه اذا ماحاولنا حمله على تنظيف نفسه قبل هجوعه . وحسما للنزاع ترى الام أن تنتظر عليه حتى ينام فتقوم بذلك العمل . ولا حاجة بنا الى ذكر اهماله فى واجباته المدرسية فانه يعتبرها قيودا تمنعه من حريته فلا يؤديها الا تحت الرهبة والخوف من عقاب المدرسة ولكنه فى الواقع كارها لها كل الكره

يسير هذا الطفل فى حياته المدرسية شاعرا بأن حريته مقيدة ويكون من أجل ذلك دائما فى مؤخرة اخوانه ولن ينتظر منه نبوغ فى دراسته أو اشتراك فى نواحى النشاط المدرسى . فيظل حياته نكرة مهملة يتلمس النجاح فان أصاب شيئا منه كان ذلك بشق الانفس

وليت الضرر يقف عند حد الطفولة وأيام الدراسة وزمن الشباب ولكن هذه الآثار تتضاعف اذا ما خرج الى الحياة العملية . مثل هذا الرجل يعتقد أن العالم جميعه لايقدره وأنه نابغة مهضوم الحق وأن مواهبه فوق مستوى معاصريه فهم لذلك لايفهمونه . واذا عوقب من أجل ذنب ارتكبه صاح بان الناس يقفون ضده وأن المجموع الانسانى ظالم له

وما ذلك كله الا من أثر التدليل الذى أناله فى صغره ما يشتهى من تافه الاشياء وعوده أن يجد دائما من يخدمه ويقضى حاجاته مهما كانت مطالبه . هذه العادة تأصلت فى قرارة نفسه وركزت فى المركز اللاشعورى من عقله وأثرت في أعماله ونظرته الى الحياة بأكملها فأفسدت عليه معيشته

ولا ننسى أن نشير الى أن البنت يصيبها من أثر التدليل ما يصيب الولد فهي تمر بما يشابه أدواره فى زمن طفولتها وشبابها فاذا ما بدأت حياتها الزوجية لاتستطيع أن تقدر أن للزوج عليها حقوقا وواجبات وان استلفت نظرها الى ذلك لم تقو طبيعتها المدللة على القيام باعباء مهمتها الجديدة . وأن انجبت أولادا فهى اسوأ من يتولى تربيتهم ومحاولتها مقضى عليها بالفشل فى ذلك

وقد عرف أساطين التربية امثال روسو خطر التدليل وان كان كلامهم عنه قد جاء عن وحى اكثر منه عن علم فقد عرفوا انه لابد للطفل من تعديل غرائزه وكبح جماح بعض ميوله فنادوا بان يترك الطفل للطبيعة توليه عقابها بقدر عمله ـ فالطفل الذى يلعب بالنار يجب ـ فى رأيهم أن يترك لتلسعه فيعلمه الالم الا يلمسها مرة اخرى ـ والطفل الذى يقسو على الحيوانات يترك لها تؤذيه دفاعا عن نفسها . وبالجملة نادي روسو بان يكون الجزاء طبيعيا واعتقد ان هذا خير وسيلة تهذب الطفل وتحد من نزعاته . ولا ريب ان فى هذه الوسيلة من المبالغة والمخاطرة ما فيها وانه خير وابقى أن يسترشد الطفل بتجاربنا ويميز بين الغث والسمين تحت رعايتنا

واحب ان يعلم القارىء انى اذ أندد بالتدليل واثره السىء فى حياة الطفل . اندد بالقسوة على اطفالنا والتشديد عليهم والتضييق من حرياتهم

فاذا عدنا الى طفلنا الاول الذى يبكي ليلا في مهده ولم نعمد الى ارضاعه كلما بكى باعتبار انه اقرب الوسائل الى سكوته عن البكاء ، بل حاولنا الاستفسار عن داعي قلقه وبكائه كأن يكون غير مرتاح فى فراشه لسبب ما ثم ازلنا تلك العلة . وامتنعنا عن ارضاعه ليلا « الا فى الضرورة

القصوى » فانا نتجنب العادة التى تبدأ فساده صحيا وخلقيا ثم قدمنا

ومتى بدأ طفلنا هذا بصحة طيبة كان من السهل تنظيم أوقاته وتوجيه نزعاته نحو المثل العليا بطريق لعبه مع والديه أو أخوته أو اقرانه . وهنا تبدأ الحرية فى خير قانون عادل سنته المحبة المصحوبة بالحكمة . فيتعود مشاركة اخوته فى العابه وهو فى سرور وانشراح ويحسن ان يجتهد المشرفون عليه فى أن يجيء هذا الخلق طبيعيا بدون ضغط او ارهاب وأن يفهم الطفل عمليا أن الشيء الطبيعى الوحيد هو هذه المشاركة

وفى محاولة تكوين كل العادات الصالحة يجب الا يتم ذلك بالتنديد بالعادات الاخري غير المرغوب فيها فان ذلك ايحاء للطفل بان هناك وجها آخر للتخلق بغير المطلوب منه فتنزع طبيعته الى مخالفة الرأى نحو الغاية المرجوة حبا فى استطلاع النتيجة وهذا ما نريد تلافيه . فيجب اذن ان يكون ايحاؤنا ايجابيا أى أن نتجنب النواهي والا يكون ذلك بالقول وانما بالمرانة والعمل فالطفل لايستفيد من المحاضرة والنصح بل من الممارسة العملية . وعلى الوالدين أن يكونا قدوة صالحة فى ذلك

فاذا ما بدأ هذا الطفل حياته المدرسية وهو على جانب من تلك العادات الصالحة كانت عدته فى التعامل مع اخوانه وراح يتعاون معهم وسرعان ما يتخذ اصدقاء من مشاكلته وتحسن فى عينيه حياة المدرسة اذ يراها حياة عائلية تماثل حياة البيت ولكنها على مقياس أكبر

واذا اخطأ مثل هذا الطفل بان عاد مثلا من المدرسة فرمى بملابسه فى غير المكان المخصص لها فينبغى الا نصيح فى وجهه ونعهر بخطئه ولكن فى الوقت نفسه ينبغى الا تحاول الام جمع ملابسه وترتيبها له بل تناديه وتذكره بان يضم ملابسه أو كتبه أو ما أهمل فى عمله على وجه العموم فى الموضع المعد له . فى ذلك أشعار له بالواجب الذى عليه . ومن الممكن أن ينتقل هذا الشعور الى الواجبات المدرسية اذا لم نرهقه كل الارهاق ونحرمه جل اوقات لعبه وهذا ما يجدر بالمدرسة أن تتلافاه

مثل هذا الطفل يشعر بانه مطلق الحرية فى حدود خاصة لايرى فيها مغالاة ولا اجحافا وبذلك يشعر بالسعادة تلازمه طوال حياته المدرسية وتكسبه النجاح المستمر الى أن يدخل الحياة العملية بنفس مطمئنة وصدر رحب يكفل له مواجهتها والتغلب على ما فيها من صعوبات بجنان ثابت وقلب لايتطرق اليه اليأس

علاقة الطفل بأفراد أسرته

للأستاذ رياض محمد عسكر

يظن الكثيرون من الآباء والامهات وغيرهم ممن يعهد اليهم تربية الاطفال أن مهمتهم سهلة لاتحتاج الى درس أو امعان نظر طويل ، وأنهم لواستطاعوا منعهم بطريقة ما من الضوضاء والمشاغبة واجبارهم على الطاعة والهدوء يكونون قد وصلوا الى غاية المنى والغرض الاسمى في تربية الاطفال. غير أننا نختلف في الرأي معهم ، ونرى أن اتباع هذه السياسة مع الاطفال غير مجد فضلا عن أنه قد يضر بهم ، لان الكثيرين من هؤلاء ينظرون الى المسألة من جهة واحدة الا وهي غير وجهة نظر الطفل . فالطفل الذى يصرخ يعتبرونه شقيا خبيثا لانه يزعجهم ، والطفل الذى يرفض طعامه عنيد متعب لانه لايطيع ، والطفل الذى يضرب أخته الصغيرة شرير لانه يحدث لهم مشكلة. ولكن إذا نظرنا الى تلك المسائل من وجهة نظر الطفل نجد أنه اذا صرخ فلا بد انه متألم من شيء ينبغي ازالته ولا يستطيع اقناع من حوله بالحجة والبرهان كما يفعل الكبار فالصراخ وسيلة الاقناع الوحيدة لديه . واذا رفض طعامه فلا بد أن يكرهه لعدم توافر الشهية لديه بسبب مرض أو امساك أو لأنه شبعان أو لانه أخذ كفايته من هذا الصنف ويرغب في صنف آخر . وإذا ضرب أخته الصغيرة فذلك قد يكون دفاعا عن النفس أو عن لعبته التي اختطفتها أو لأنها أثارت في نفسه الغيرة بحلولها محلا ممتازا من قلب أمه أو اخواته . لانريد أن نقول ان الطفل على حق في كل ما يعمل ونقرر انه كثيرا ما يخطيء ، ولكن أنى له معرفة الحق من الباطل والصواب من الخطأ وهو لا يزال صغيرا لم يحط علما بقوانين المجتمع ؟ ان الكلمات « حق » و« صواب » و « باطل » و « خطأ » صحيح مصطلحات وضعها الانسان لتنظيم معاملات الافراد بعضهم مع بعض فواجب على الآباء والامهات والمربين قبل أن يصموا الطفل بأنه شرير أو خبيث أو قليل الادب أن يعطوه الفرصة في الوقت الكافي ليتعلم الادب والطاعة ودماثة الخلق لان هذه أنواع من السلوك يكتسب الفرد معظمها بالخبرة والمرانة ، كذلك يجب أن نحاول تفهم حاجاته ورغباته لانه لايستطيع أن يعبر عن نفسه تعبيرا وافيا مثلنا معاشر الكبار

وان علاقة الطفل مع أمه وأبيه واخوته ومربيه قد درسها دراسة مستفيضة علماء النفس والتربيه وأثبتوا أن اخطاء أفراد العائلة فى معاملة الطفل وهو صغير له نتائج وخيمة فى حياته وهو كبير اذ ينشئه هذا معتل الصحة والنفس فينتابه أولا « شذوذ » فى أخلاقه ثم تتغير نظرته للمجتمع فتصبح نظرة معتلة غريبة ، وقد ينبذه المجتمع أو يهزأ به لشذوذه فيوجد ذلك فى نفسه روح التحدى ويصبح مجرما متحمسا فى اجرامه حتى اذا ما اشتد به الخطب انتابه الجنون . هذه درجات منها الخفيف الذى لايلاحظ وهو الا كثر انتشارا إذ قلما يوجد انسان من غير شذوذ طفيف فالانسان الذى بلغ حد الكمال من حيث العقل والنفس قلما يوجد كمثل الانسان البالغ حد الكمال من حيث الصحة البدنية . والقوى العضلية . وهذا الشذوذ الطفيف لا يلاحظه إلا الاخصائيون فى علم النفس ومنها الشديد الذى يبدو واضحا لكل فرد . غير انه يجب ألا ننسى حقيقتين هامتين نبينهما لكل من يهمه أمر تربية الاطفال

أولاهما : أن الشذوذ الطفيف قد يتطور فيصبح شديدا اذا لم يتدارك بمعالجة العوامل التى أدت اليه

الثانية : ان الطفل الذى لايظهر عليه شذوذ ما فى الصغر قد يزداد عليه الامر فى الكبر اذا استمرت ظروفه التى نشأ فيها على ماهي عليه من استهزاء اخوانه واقرانه به مثلا أو قسوة أبويه ومعلميه فى معاملته ، هذه الامور لا تظهر نتائجها فى العادة الا بعد أن تستمر وقتا طويلا فى حياة الطفل

ومن الجلى الواضح أن للبيئة المنزلية أى العائلية أكبر أثر فى حياة الطفل لأنها البيئة الاولى التى ينشأ فيها وعلى الاخص اذا علمنا انه فى السنين الاولى يكون ضعيفا سهل التشكل والتأثر بما حوله ، ولذا كانت هذه البيئة أجدر بالعناية من غيرها من حيث حسن تنظيم العلاقات بين أفرادها ومن حيث جعلها مناسبة لنموه من الوجهة النفسية والبدنية والخلقية . فمن الوجهة البدنية تجب العناية بالغذاء والتهوية والحيطة من الامراض ورياضة الجسم على الحركة واستعمال أطرافه الى غير ذلك أما من الوجهتين النفسية والخلقية فأهم عامل فيها علاقة الطفل مع أبويه وأفراد عائلته بوجه عام فالطفل الذى يقسو أبواه عليه فى معاملته يشتد خوفه منهما ويزول حبه لهما وتصبح طاعته عمياء لايشعر فيها بالاحترام القلبى ولا يحدوها العطف . ولايقتصر الامر على ذلك لان سلطة الابوين على الطفل مستمرة معه طول يومه من كل شىء يعمله لان الرقيب ملازم له انى ذهب نظرا لان

البيئة المنزلية صغيرة ضيقة ، ولان الجزاء شديد يضطره الي التفكير قبل أن يأتي عملا ما ثم لايلبث أن يتحول هـذا التفـكير الى تردد وتشكك فى نتيجة العمل خوفا من العقاب وهكذا يصبح الطفل دائم الخوف هيابا متشككا قليل الثقه بنفسه نتيجة لمسلك أبويه معه وقد ينتقل الخوف من الوالدين ويتعداها الى الخوف من كل شخص له سلطة أو سيطرة على الطفـل كالمعلم والناظر والضباط فى المدرسه ورجل الشرطة فى الطريق أو الاطفال الاكبر منه سنا فيخافهم من غير ما سبب ومن غير أن يعاقبوه أو ينتبهوا اليه مطلقا وقد يشعر انهم حاقدون عليه غير راضين عنه وهكذا تزداد مخاوفه وهواجسه من كل ماحوله فتحيط به الاوهام والمخاوف التى لامبرر لها ومتى وصلت حاله الي تلك الدرجة خرج من عداد الاشخاص العاديين وأصبح شاذا بل مريضا يحتاج الي العلاج ولا يصلح للمعيشة فى ذلك المجتمع وعلي الاخص عند مايـكتشف المجتمع موضع الضعف منه فيستغله لصالحه وقد يتخذه بعض الافراد هزؤا فلا يلبث أن يقصى الى مستشفى الامراض . هذا طبعا اذا تطورت الحالة من سيء الى أسوأ . ولـكن ليس من الضرورى أن تتطور كل حالة الى ذلك القدر أى انه ليس من الضرورى أن كل طفل يقسو عليه أبواه ينتهى أمره فى النهاية الى الجنون لان ظروف كل فرد خاصه به وقد تـكون هناك عوامل مخففة أو قد تـكون مقاومة فرد للخوف أ كثر من مقاومة آخر كالشخص ذى الضمير الحى الذي يصيب شخصا فيقتله عن غير عمد ويهرب فلا يزال ضميره يؤنبه وفعلته تشغل باله حتى يجن بينما هناك كثير من القتلة والسفاكين يقتلون بدل المرة عدة مرات فلا ينتابهم الخوف الا بقدر خوفى وخوفك من أن نؤنب علي تقصير فى عمل

وعلى أية حال فان الآباء والمربين الذين يسرفون فى لوم الطفل وتأنيبه وعلى الاخص فى السنين الاولى من الطفولة يحطون من فـكرته عن نفسه ويضعفون ثقته بكفايته فلا يهب لمواجهة الصعاب لعلمه انه مهما حاول الاجادة ومهما بلغ من الاحسان فلن يظفر بالشكر ولن يسلم من اللوم . كذلك لا يلجأ الى الاستئناس بمشورة مربيه والاستفادة برأيهم فى مشكلاته لانه لا يحس منهم عطفا عليه وتسوء نظرتهم لكل حسن يأتيه فينظر اليه كانه عبء مفروض عليه وواجب لا ينتظر شكرا عليه ولا ترتاح نفسه الي أدائه ويتوقع أن يؤاخذ بسببه على التقصير . فاذا استمر ذلك طويلا استبعد على نفسه أن يأتى عملا مستحسنا . ثم لا يلبث أن يتطرق الى نفسـه اليأس ويعتقد أن به نقصا طبيعيا يقيده عن الاجادة ، وان ذلك النقص لا يمكن اصلاحه لانه مهما بذل ومهما اعمل من فكر فالنتيجة واحدة وهى وجود بعض أوجه اللوم والتأنيب . وكثيرا ما يزيد الوسط العائلى فى هذا

الشعور كأن يكون للطفل اخوة آخرون وهبتهم الطبيعة ميزات جعلتهم مقربين عند والديهم كالجمال والذكاء او طلاقة اللسان أو القوة البدنية أو مقدرتهم على كسب دراهم قليلة فى حرفة ماتمين العائلة الفقيرة على سد رمقها مما يجعل الوالدين يكيلون المدح لهؤلاء الاخوة على مرأى ومسمع من الطفل ذاته فينشأ فى نفسه العجب من اختصاصهم بالثناء دونه فيحاول التشبه بهم ليحظى بالرضى فيتصنع الظرف مثلهم أو يبالغ فى الطاعة فاذا لم يجد فائدة انقلب الى الضد وشهر سلاح التحدى فيصبح ثائرا مشاغبا فلا يزيده ذلك الا كرها وتحديا وقد يضرب اخوته أو يرمي بحاجياتهم ولعبهم من النافذة أو يكسرها فلا يزيده هذا الا عقابا وهكذا . وتكون النتيجة على عكس ذلك تماما إذ انه اذا تسرب الى نفس الطفل أن به قصورا أو نقصا عن أخواته قعد عن مجاراتهم وهبطت همته وخاب أمله فى كل عمل يأتيه فلا يزيده الا احتقارا لنفسه طبعا فيتكاسل ويزيد فى الكسل فيعتقد والداه أن لا خير فيه ولا أمل يرجي منه ولو علموا حقيقة الامر لوجدوا أنهم هم السبب وأنهم ظلموه وجنوا عليه شر جناية لان كثرة اللوم لا تصل بالطفل الى الصواب وانما الارشاد هو الذي يهديه الى الطريق القويم اذا كان فى استطاعة جسمه وعقله الصغيرين أن يصلا الي ذلك الطريق القويم وليس من العدل ولا من الصواب أن نكلف الطفل اتيان مالا يستطيع فله قوة محدودة ولذا فانا نهيب بالآباء والامهات وكذلك بالمعلمين فى المدرسة الا يسرفوا فى المدح لبعض الاطفال دون بعض . نعم ان مدح أخ على مرأى من اخوته أو تلميذ على مرأى من فصله يشجعه على المضى فى الاجادة والاحسان ويبعث فى نفوسهم المنافسة رغبة فى اللحاق به ، غير أننا نحذرهم من أن يكون الثناء وقفا على طفل واحد دون الآخرين دائما . أو على العكس يخص به كل الاطفال ويحرم منه واحد دائما ، بل يجب توزيع الثناء أحيانا حتى علي من قصرت همتهم عن ادراك الغاية القصوي تشجيعا لهم ومنعا لتسرب الشعور بالنقص والقصور الى نفوسهم كما أن الطفل الذى يرى نفسه دائما موضع الحب والعطف والثناء يدب فى نفسه دبيب العجب والزهو وعلى الاخص اذا كان ذلك الحب والعطف ناشئين عن ميزة اختصته بها الطبيعة وليس له فضل فيها اذ لا يلبث أن يعتقد أنه حقيقة أفضل من غيره وتزيد ثقته بنفسه الى حد يقعده عن الجد والاجتهاد فيتأخر فى عمله ويصبح هذا التأخر عادة متأصلة فيه وهو على ذلك ينتظر الثناء على القليل الذى اتي به فاذا لم يحصل عليه ثار وصخب وملأ الدنيا صياحا وعويلا . ثم يعزى نفسه بقوله « لو اردت الاجادة لفقت هؤلاء ولكنى لا اهتم بتلك السفاسف من المديح التى يهتم لها الآخرون » أو يعزي نفسه بما يسمعه

من ابويه عندما يقولون « ان فلانا ذكى بطبيعته وعيبه الوحيد أنه لا يعنى بعمله ولو عنى به لأجاده . »

ولقد اتى الى مرة بطفل لفحصه وتبين أسباب تأخره الشديد فى الدراسة رغم كبر سنه وجودة صحته وبيئته المنزلية مما حير معلميه وبعث فى نفوسهم اليأس من اصلاحه . فلاحظت عليه عدم اكترائه بترتيب ملابسه وكتبه ووجدته قذر اليدين والملابس عديم الاهتمام بشيء ما حتى نظافة أنفه . وفى أثناء اختباره كان عديم الاهتمام بالاسئلة التى توجه اليه ينظر حوله فى الحجرة كأنه أبله « ولم يكن كذلك » مع أن غيره من الاطفال كانوا يظهرون شيئا من الارتباك أو الخوف فى أثناء الاختبار لغرابة الموقف عليهم . ولقد اتضح لى من الفحص أن ذلك الطفل رغم صحته الجيدة لا يميل لبذل الجهد ولقد قال أنه لا يحب كرة القدم أو الكشافة أو الاشبال فلما سئل عن السبب اجاب أن الاطفال يدفعونه ولذا فهو لا يحب تلك الالعاب فقلت له الا تدفعهم كما يدفعونك فقال ان رجله لا تطاوعه اذا حاول . وما يقال عنه فى الألعاب ينطبق عليه فى الدراسة لانه قعد عن منازلة الاطفال الآخرين لاعتقاده انه أقل منهم مع انه لا يقل عنهم صحة وانما يقل فقط فى النشاط وفى القوة الدافعة المحركة لذلك النشاط

هذا ويكون الشعور بالقصور او بالنقص شديدا اذا كان الطفل مصابا بعاهة جسمية وعلى الاخص اذا كانت عاهة ظاهرة تقعده عن مجاراة الاطفال الآخرين فى العابهم ولهوهم كالعرج مثلا أو ضعف فى احدى الذراعين و تشويه فى الخلقة كالاحديداب فى الظهر او الطول الخارق للعادة او القصر الشديد كالاقزام مثلا . مثل تلك العاهات لايرحم المجتمع اصحابها وعلى الاخص الاطفال فانهم يتخذونهم هزؤا وموضعا للسخرية والضحك وقد يمشون خلفهم فى الطرقات يصيحون ويهللون. فبعد ان تكون العاهة جسمية فقط تمتد الى نفس الشخص طفلا كان او راشدا وتؤكد فى نفسه الشعور بالنقص فيصبح ذا علة نفسية وعلى الاخص اذا اشترك الكبار مع الصغار فى تحقير الطفل ذى العاهة والحط من شأنه لان رأى الكبار له قيمة فى نظره وهو يقدره طبعا اكثر من تقديره لرأى الصغار أما اذا اتخذ الآباء والمربون طريق الحكمة واظهروا العطف نحوه فقد يستطيعون تخفيف شعوره بالنقص شيئا ما وذلك لا يكون الا بالكف أولا عن الاستهزاء به واظهار عيبه والتغاضى عن كل تقصير فى عمله يكون نتيجة لتلك العاهة التى لديه . ثانيا : بتسهيل الفرصة لديه لان يعوض النقص الذى

عنده بالنبوغ فى ناحية أخرى وذلك بان يعلموه حرفة أو مهنة أو فنا ينبغ فيه ولا يزالون يشجعونه حتى يمنعوا ذلك الشعور بالنقص من الامتداد الى نواحى نفسه المختلفة فاذا رأى انه يفوق غيره فى ناحية ماطابت نفسه وعلم أن الخالق قد وزع الهبات وأن ما حرمه منه قد عوضه عليه فى ناحية إخرى قد حرم منها غيره وهكذا . فمثلا الطفل المقعد قد ينبغ فى التصوير أو الموسيقى لانها لاتحتاج منه القيام والقعود حتى اذا أصبح فنانا كال له الناس الثناء فيهون هذا عليه من امر العاهه الجسمية لان الاطفال السليمى البنية لم يحصلوا على مثل هذا الفخار والمديح اللذين حصل عليهما

وهذه الطريقة يجب أن ينتبه اليها الآباء والامهات فى الصغر قبل أن يستفحل الامر ويتمكن الشعور بالنقص من نفس الطفل إذ يصعب استئصاله عندئذ وكلنا يعرف المثل السائر «الوقاية خير من العلاج»

ومن العوامل العالمية الهامة التى تؤثر فى نفسية الطفل ترتيبه فى الولادة بين اخوته ، اذ كثيراً ما نلاحظ أن أسرة صغيرة لها طفل واحد يستنفد كل عناية الابوين ويكون موضع الحب والعطف المتواصل لا ينازعه فيها منازع لانه الوحيد أولا ولانه ليس هناك من يشغل ابويه عنه ثانيا حتى اذا ولد للعائلة طفل آخر تحول العطف الى المولود الجديد أو علي الاقل تقاسمه معه وقد يكون موضع التدليل والاعجاب لانه اصغر ولانه فى حاجة ادعى للعناية الوالدية لضعفه ، فلا يلبث ذلك الوضع أن يشعل نار الغيرة فى نفس الطفل الاكبر وان كان هو نفسه لا يشعر بتلك الغيرة فتجده يختلس النظرات اليه ثم يقذفه بما فى يده كدمية أو لعبة او يضربه فى مهده أو يعضه أو ينتزع ثدى أمه منه ، وقد تراه يبكى من غير ما سبب سوى استدرار العطف ولفتا للانظار عندما يجد نفسه مهملا كالطفل الذى وجد أخته الصغيرة قد شغلت امه عنه فاخذ يبكى ويرتمى علي الارض ثم اكتشف حيلة أخرى يستدر بها عطف أمه وهي أن يحبو على الارض كاخته الصغيرة مع انه قادر علي المشى والحركة ظنا منه أن ذلك هو سبب العطف عليها . هذه الغيرة فضلا عن اضرارها بنفسية الطفل واخلاقه قد تضر صحته ايضا اذ قد يمتنع عن الطعام أو تقل شهيته له وقد يمتنع عن اللعب فتراه واجما الى ركن الحجرة لا يجيب اذا نودى . هذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولكنا ننصح بأن تراعى الام شعور ذلك الطفل وتقطعه شيئا من عطفها وتسبغ عليه ولو قليلا من التدليل لتؤكد له أنها لا تزال تحبه وتنتزع من نفسه فكرة انه منبوذ

وقبل أن نفرغ من ذلك المقال يحسن بنا أن نلخص ما قلناه فيما يأتى اتماما للفائدة

١ — لا تقس على طفلك فى المعاملة لان ذلك يورث الخوف والرعب اذا اتخذته ديدنا وعادة

٢ — لا تختص طفلا بالثناء على الدوام دون الآخرين ، أو تحرم طفلا منه على الدوام كذلك بل اجعله قسمة بينهم ما امكن .

٣ — لا تكثر من تدليل طفل لميزه طبيعية فيه بل اجعل اعزازك له ومحبتك اياه على اساس ما يأتيه من أعمال وما يبذله فيها من جهد . كذلك لا تحقر من شأن الطفل لعاهة طبيعية لا ذنب له فيها

٤ — حاذر من اثارة الغيرة فى نفس الاخوات باختصاص بعضهم بالحب دون البعض او اهمال الكبار والاهتمام بالصغار بل اعط الكبار شيئا من اهتمامك ولو قليلا على قدر المستطاع



ميل الطفل الى ابراز شخصيته

للدكتور عبد العزيز حامد القوصي

قد يلوح لاول وهلة ان فى عنوان هـذا المقال — شيئا من المغالاة غير قليل ، اذ ربما يقول بعض القراء : انه ليس من المعقول مطلقا ان نصف الطفل الصغير بشىء من الغرور أو الميل الي الظهور او النزعة لاثبات شخصيته وابرازها ، فـكأنما الغرور عندهم من صفـات الـكبار ، وكأنما الشخصية لاتـكون فى عرفهم الا لبعض الافراد النابهين البارزين . ولـكن لو حللنا كثيرا من أعمال الاطفال فى أثناء نشاطهم المعروف المتواصل ، لوجدنا أن منابع كثيرة من نواحى هذا النشاط كافية فى تلك النزعة الطبيعية الغريزية . والغرض الذى ارمي اليه بهذا المقال هو التدليل على صحة هذا القول ، اذ ان فى اثباته حلا لـكثير من مشا كل الاباء مع ابنائهم . وسأبين بغاية الاختصار كيف ان سوء تصرف الآباء ازاء هذه النزعة القوية الهامة ينشأ عنه كثير من المتاعب فى تربية الابناء . ثم اقدم بعد ذلك بعض النقط التى يجب مراعاتها لحفظ كيان هذه النزعة ولامكان نموها نموا تتوافر فيه القوة والصحة والمتانة

وللتدليل على وجود هذه النزعه نذكر الاباء ببعض المحاولات التى يقوم بها ابناؤهم . اذ كثيرا مايبدأ الولد بشد يد ابيه واطراف ملابسه ويلح فى هذا مظهرا كل ما نفسه من علامات القلق حتي يرفعه والده ليوقفه على كرسى او مائدة او غير ذلك . فاذا ماتم له ذلك انبسطت أسارير وجهه وابتسم ابتسامات السرور والارتياح . وذلك لانه قد ساوى بارتفاعه اباه فى الطول

وأذكر أنى كنت أشعر فى يوم طفولتى بسعادة عميقة حينما أصبحت قادرا على ادارة « اكرة » الباب دون الاستعانة بكرسي او دون الوقوف على اطراف الاصابع . وكم كنت أتمنى اليوم الذى اكبر فيه حتى اصير مثل ابي في كل شيء حتى فى شاربه !! وكنا نسمع اذ ذاك ان المرء اذا دهن شفتيه العليا بزيت البندق ساعده ذلك على انبات الشعر فيها ! ، ولذلك كنا لانألو جهدا فى فمى البندق لاستخراج زيته واستعماله لهذا الغرض .. اي استعماله للخروج من حالة الطفولة الى حالة الرجولة . وبعبارة اخرى الى الحالة التى يظهر فيها الشخص ويبرز

ولقد زرت منذ شهر تقريبا بعض اقربائى وكان بالغرفة التى دخلتها طفلان يلعبان بادوات مختلفة وكلاهما فى الثانية من عمره . وكنت منصرفا عنهما عند دخولى الغرفة ، ولكنى ما لبثت قليلا حتى رأيت أحدهما يندفع الى ليرينى لعبته وليضحك معى ، فلم استطع الا أن اقابله بالتهليل والترحيب والا أن الاعبه وأحادثه ! . على ان الطفل الآخر ما لبث ان اندفع ايضا نحوى محاولا ان يشغل محل الاول ، وهنا لك حدث تنافس عجيب بينهما ظهرت فيه أبدع الاساليب التى يتخذها الاطفال لاثبات وجودهم وابراز شخصياتهم . ونرى عادة فى مثل هذه الظروف ان الطفل الذى تشجعه ظروفه على الظهور يكون أكثر الحاحا فى طلب اعجابك به وانتباهك اليه

ويحدث هذا التنافس بعينه بين صغار الاخوة المتقاربين فى السن ، اذ يرى الاكبر كارها للاصغر يغار منه ويحقد عليه ، لا لسبب الا لانه بارز فى الاسرة . فقد كانت الام تعطيه كل انتباهها بتدليلها ومداعبتها ، وكان كل من فى المنزل يظهر اعجابه بكل ما يفعله . فلما جاء الطفل الجديد حل محله ، وبعبارة أخرى أخذ المركز الممتاز الذى كان يشغله ، أما هو فقد ترك مع جدته او خادمته ، أى أصبح فجأة عضوا ثانويا بعد ان كان يشعر بانه العضو الممتاز فى هذه الاسرة وأعرف طفلة فى الثالثة من عمرها وضعت امها حديثا فظهرت على الطفلة جميع انواع الغيرة ، ومضت تدافع عن مركزها ومكانتها بكل مالها من قوة ، فلما لم تجد لنفسها حولا ولا طولا فى محاربة هذا المنافس القوى اخذت تفر الى الجيران وترفض الرجوع الى منزل أهلها لانها لاتود ان تكون فى جهة ليست هى الشخصية البارزة او النجم الساطع فيها أو بعبارة أخرى محور الفخر والاعجاب

وقد تظهر رغبة الاولاد فى الظهور عند تقليدهم لاعمال آبائهم ، وكلنا نعلم ان الاطفال كثيرا ما يلعبون كما لو كانوا أبا وأما أو معلمين ومعلمات ! ولذلك يندر ان يفرضوا أنفسهم فى لعبهم اطفالا صغارا لانهم يريدون بهذا اللعب الخيالي أن يشبعوا رغبة قوية تجيش بصدورهم . ومما يسر الاطفال جدا ارتداؤهم لبعض ملابس والدهم او امساكهم بعصاه . وأعرف طفلة فى الثانية من عمرها كانت تقلد أباها فى كل شىء : فهى تمسك بالجريدة اليومية او بالكتاب وتقلبه صفحة صفحة ، او قد تذهب الى أبعد من ذلك ، فاذا مرض أبوها واضطر الى عملية الغرغرة قلدته فيها ، وقد جرح مدة جرحا بالغا فربطه باربطة جراحية فما لبثت الطفلة أن طالبت بمثلها لتربط خدشا

بسيطا فى ساقها . وطبعاً ما كانت لتلحظ هذا الخدش أو تدرك وجوده لولا ما قد رأت من الاربطة حول جرح أبيها

وتظهر هذه الرغبة أيضا فى أن الاولاد يودون أن يلبسوا او يأكلوا بأنفسهم ، كما يود البعض منهم أن يأكل بملاعق وسكاكين كبيرة الحجم شبيهة بما يستعمله الكبار

ومما يسر الطفل ويشعره بشخصيته مقدرته على القيام باى عمل يستدعى الجلد والقوة ولاشك أن أسعد ساعاته هى الساعة التى يستطيع القيام فيها بالمشى او الكلام او العض او الخطف او غير ذلك من الافعال : وكلنا يعلم مقدار الغبطة والسرور اللذين يظهرهما الطفل فى نهاية السنة من عمره عندما يتبختر من أول الحجرة الى آخرها وأكثر ما يلذ له ذلك أمام أمه وأخوته وابيه او زائريهم . اذ انه يظهر بذلك فى حضرتهم ما يقدر عليه . وقد ذكرت ان الاطفال فى نهاية السنة الاولى يقلدون جميع حركات الكبار ، وعلى الاخص اصواتهم ، وذلك لانهم يريدون ان يتحدثوا فيكونوا مثلهم . ومبدأ ظهور الاسنان عند الطفل هو مبدأ تزويده بقوة جديدة ، ولذلك لايلبث ان يستعملها . وكثيرون من الاطفال يعضون فى هذه السن اثداء امهاتهم وأصابعهن وفى ذلك سرور عظيم لهم ، وعلى الاخص لانه يمكنهم من عمل شىء يؤثر فى شخص عظيم بالنسبة اليهم

ونجد الاطفال عادة بعد هذه السنوات الاولى منقسمين على وجه التقريب الى نوعين . نوع يود من الناس ان يشهدوا نشاطه ويعجبوا به . ونوع آخر لايجد سوى التثبيط ممن حوله فيكتفى هو بالاعجاب بنفسه وبمقدرته . وينمو النوع الاول الى ما يسميه علماء النفس « ظاهرى » والنوع الثانى الى ما يسميه « باطنى » وليس هذا محل الاسهاب فيهما

واذا اخذنا نواحى الشذوذ المعروفة التى تضايق الآباء والامهات ، والتى يصعب عليهم معالجتها بالطرق المألوفة كالضرب والتعنيف والتوبيخ والحرمان من النقود ومن التنزه .. الخ لوجدنا أن اغلب هذه النواحى يرجع الى رغبة قوية فى الطفل ترمى الى ابراز شخصيته واثباتها . فهو حين يخرب ادوات المنزل او يكسرها ، وحين يعذب الحيوانات الصغيرة بشد أذنابها (كما يفعل بالكلاب) او قص شواربها (كما يفعل بالقطط) ، وحين ينفجر فى نوبات من البكاء او الصياح او الالحاح او العناد ، وحين لايذعن لاوامر الام ، او حين يتمرد على نظام المنزل المعتاد ، : هو حين يفعل ذلك كله انما يحقق هذه الرغبة القوية الجائشة فى نفسه . ومن الغريب أن نجد ان نفس هذه النزعة

للظهور سبب عميق فى الخجل والانزواء والسرقة والمكر السيء والكذب الادعائي

ولا يمكننى — لضيق المكان - ان احلل كل هذه الافعال فأثبت للقراء ان النزعة الطبيعية للظهور والتفوق والارتفاع هي أساسها جميعا ، وانها لاتنتج هذه النواحى المرذولة المعوجة التي رفضها المجتمع الا من كثرة ضغط الآباء على اطفالهم والتضييق عليهم الى درجة يسلبونهم بها ثقتهم بانفسهم ويشعرونهم بضعف فى نواحى سلوكهم . وهذا يدفعهم الى سلوك شاذ كالذى ذكرناه كيما يشبعوا به غرائزهم

وقد ينشأ هذا الشذوذ نفسه من كثرة التسليم للابناء واجابة طلباتهم وتدليلهم . وقد تناول زملائى المشتركون في اسبوع الطفل كل هذه النواحى بالشرح والتحليل مع الاسهاب

اقدم للاباء بمناسبة هذا المقال بعض النصائح العملية البسيطة التى لو قرئت مرة بعد اخرى وطبقت وروعيت بدقة لمنعت وقوع كثير من متاعب هذه النزعة الغريزية . فعلى الآباء

اولا : ان يعاملوا الطفل كفرد له شعوره وله شخصيته ، فلا يجوز لهم ان يعدوه لعبة يتسلون بها ، ولا ان يعتبروه جزءا من ممتلكاتهم يتصرفون فيه كيفما شاءوا

ثانيا : الا يجعلوا الطفل موضوعا لحديثهم مع ضيوفهم واقربائهم على مسمع منه

ثالثا : الا يكثروا من الافتخار بابنائهم او التحقير من شأنهم و كفايتهم امام الناس

رابعا : الا يكثروا من نقدهم وتوبيخهم والتدخل فى شئونهم من العاب وأحاديث

خامسا : ألا يسخروا من مخاوفهم لانها فى كثير من الاحيان مخاوف طبيعية والاستهزاء بها لا يزيدها إلا تأصلا ، بينما الاعتراف بها ومحاولة فهم أصلها قد يعمل على استئصالها .

سادسا . ألا يسخروا من ذوي العاهات منهم ، فى هذه السخرية تهجيم لثورتهم وتمردهم وكراهيتهم للمجتمع ، وكثير من الجبابرة والمجرمين أصحاب العاهات هم ضحية هذه السخرية وعليهم بأن يشجعوا فيهم المواهب والنواحي الطيبة مع عدم الاشارة الى هذه العاهات .

سابعا : أن يشتركوا مع أطفالهم فى عواطفهم ووجداناتهم فليضحكوا معهم مثلا بدلا من أن يضحكوا منهم

ثامنا : أن يصاحبوا الطفل ، ويلاعبوه ويحادثوه ، بدلا من أن يستعملوا معه الشدة ، والسيطرة والسلطة غير المعقولة أو المفهومة لديه

تاسعاً : أن يشجعوا الطفل مهما صغرت سنه على أن يؤدي بنفسه ما يمكنه أداؤه من حاجياته الخاصة ، إذ في أدائه إياها إثبات لشخصيته . وأما أداؤها له ففيه انكار واستضعاف لمقدرة الطفل

عاشراً : ألا يتكلفوا الظهور بمظاهر الكمال أمام أبنائهم بحجة أنهم يريدون منهم أن يكونوا كاملين ، فلهذا التكلف احدى نتيجتين ، اولاهما : أن يشعر الولد بنقصه لعدم تمكنه من الوصول الي درجتهم فتثبط همته ، وتقل رغبته للعمل ، وأخراهما : أن الولد قد يكشف عيوب أبيه فجأة فييأس ويحتقر اباه ويسوء خلقه الى حد كبير . والأفضل دائما أن يكون الوالد مع اولاده طبيعيا ما امكن

واخيراً على الآباء ان يعملوا — مع الاعتدال — على اشعار الطفل بحبهم ، وعطفهم ، والاعتراف بمقدرته ، وعلى الاعجاب المعقول بشخصيته ، فينمو بذلك رجلا يجمع بين العواطف النبيلة الرقيقة وبين الشخصية القوية المتينة



ضحية الاستبداد ونتيجة الحرية

للاستاذ علي محمد فهمي

يرى كثير من الآباء فى المنزل أنه المكان الذي يجب أن يمكث فيه الاطفال بدون حركة أو كلام مع أن الطفل كائن دائم الحركة اذا طلبنا منه السكون فانما نطلب منه مالايتلاءم مع طبيعته بل مايعوق نموه الجسمي والعقلي . والواجب أن يكون الطفل فى منزله بحيث يسمح له بدوام الحركة وتترك له الحرية فى العمل أو الراحة لتنمية مواهبه وقواه التى تعد هبة للحياة الاجتماعية فكما أنه من المسلم به عند الجميع أن الملابس الضيقة تضر الجسم وتعوق حركة أعضائه فكذلك مكث الطفل ساعات متوالية بدون حركة مرهق لجسمه

يرى هؤلاء الآباء أن ماعلى أطفالهم إلا الطاعة والرضوخ والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم ـ رضوا أو لم يرضوا ـ لذلك نجد هؤلاء الاطفال لايميلون الى المنزل ولايحبونه ويرحبون بفرصة التخلص من ذلك المكان الموحش فتراهم يرحبون بقضاء أوقات لعبهم خارج المنزل وما ذلك الا لعدم منحهم فيه ماتصبو اليه نفوسهم وما تحتاج اليه طبيعتهم من الحرية التى بدونها لاتتم تربيتهم ولا يكتمل تكوينهم

هؤلاء الآباء يقيدون أطفالهم وبذلك يميتون فرديتهم وقوة الابتكار فيهم ، ولكن التربية الحديثة بفضل اعتمادها على النفس وبحوثه العديدة تعمل على أن يسود المنزل جو من الحرية التى تشحذ من همة الطفل وتشجعه على العمل

الحرية إذن هى أهم ماتدعو اليه التربية الحديثة ولاينكر أحد قيمتها من حيث استعداد الفرد وميوله الحقة . ولكن المقيدين لطبيعة الطفل يرون فى ذلك منحا للطفل مجالا لا للعمل المنتج فى جو الحرية بل تشجيعا له على اللعب والفوضى . على أن التجارب قد أثبتت عكس هذا وأن نظام الحرية هذا مفيد فى تنمية الشخصية وخاصة الشخصية الادبية وقوامها الشعور بالمسئولية فالطفل الذى لايعمل إلا مايؤمر به فى كل آن لاتتاح له فرصة الاعتماد على النفس إذ للحرية شأن كبير فى تكوين الارادة « ولا مجال لعمل الارادة تحت حكم القهر والارهاب » كما يقول الاستاذ كلاباريد

ويرى آخرون أن فى منح الاطفال ذلك المرتع الخصيب وهذه الحرية المطلقة التى ألفوها ليس فيه اعداد للحياة إذ الحياة ملأى بالمصاعب والمشاكل وكلها نظم وقواعد وقوانين ، ويجب أن يسود

الاطفال مواجهتها - على أننا نرد عليهم بأن هذه الحرية ليس معناها ترك الحبل على الغارب للاطفال وعدم تدخل الآباء فى أعمالهم كلية - إنما الحرية التى تنادي بها هى التى تكفل للاطفال استقلالهم وتشجيعهم على الاعتماد على النفس وتعطيهم قدراً من الطمأنينة ومن الفرصة للتعبير عما فى أنفسهم تعبيراً يلائم مايلقونه من أطوار نموهم

إن معنى الحياة فى الوقت الحاضر هو الديموقراطية ومعنى الديموقراطية حرية الفكر وتطور العقل البشري للقيام بأعباء الحياة ، أو هى « حكم الشعب بواسطة الشعب لمصلحة الشعب » وعلى ذلك فكل فرد فى مجتمع ديموقراطى يتحمل جزءا من المسئولية فيما يتعلق بسلوك الجماعة ويجب أن يعد الآباء أطفالهم للاضطلاع بهذه المسئولية - يقول جون ديوي « اذا دربنا أطفالنا على تلق الأوامر وعمل الأشياء لمجرد أنهم أمروا بعملها وفشلنا فى اعطائهم الثقة ليعملوا ويفكروا بأنفسهم فاننا نضع حاجزاً منيعا فى طريق تدعيم المثل العليا » . وهكذا نرى أن تدريب الآباء أبناءهم على تلقى الأوامر يسلبهم معنى الحياة

ومن حق الاطفال أن يندمجوا فى البيئة وأن تكون معارفهم نتيجة ملاحظاتهم وتجاريبهم واكتشافاتهم الشخصية - يقول روسو « فى أى شيء تنتظره أن يفكر اذا كنت تفكر له فى كل شيء فغاية التربية هى تعليم الاطفال كيف يحصلون على الحياة بأنفسهم كلما أمكن ذلك »

يجب اذن أن يكتسب الطفل بنفسه معارفه أى عن طريق العمل لا عن طريق أوامر ونواهى والديه وبهذا وحده نستطيع أن ندخل الحياة فى المنزل بصورة جدية وبهذه الطريقة يصبح الطفل عاملا بنفسه لا واقعا تحت تأثير غيره يتلق من آبائه الاوامر دون أن يبحثها ويجربها فالطفل لا يتعلم شيئا ما لم يعمله . كذلك لا يمكننا أن نربى عاطفة أو فضيلة او فكرة حسنة فى نفوسنا مالم نأت أعمالاً تستوجب هذه العاطفة أو هذه الفضيلة أو هذه الفكرة

وعلى هذا يجب على الآباء أن يعودوا أطفالهم التعلم من الحياة نفسها فلا يروموا من التربية شيئا سوى الحياة . وهذه الحقيقة هى المثل الأعلى فى التربية الحديثة وهى تدمج الاطفال فى الحياة الاجتماعية ادماجا يجعلهم يتذوقون معناها ويقدرون على حل معضلاتها

أذكر أنى شاهدت يوما أحد الاطفال يزرع فى حديقة منزله بعض الازهار فما كان من والدته الا أن قلعت له هذه الازهار من الحديقة وحجتها أن ذلك يسبب اتساخ ملابسه ولم تدر أن ملاحظة الطفل بنفسه هذه الازهار فى اطوار نموها فضلا عما يكسبه من فضيلة المثابرة فى العناية بهذه النباتات مدة طويلة هى من خير الوسائل لتكوين بعض ميول الطفل واظهارها كما انها تفيده من الجهتين الخلقية والاجتماعية فهى تبعثه على حب العمل ، ومن جهة اخرى فشاهدة الاطفال

للظواهر الطبيعية من نبات وحيوان والعناية بنموها لابد أنهما يشعران الطفل بأن حياة النبات والحيوان متوقفة على العوامل الطبيعية ويحفزانه الى الاعتقاد بانه لولا عنايته هو واهتمامه لهلك النبات وجف ومات الحيوان من الجوع والعطش . وشعور الطفل بهذا كله مما يبعثه على أن يهتم ويحرص كل الحرص على حياة النبات والحيوان ويجعله يقدر ويحب الطبيعة ويجلها . ثم ان قيام الطفل بهذا كله يفيده من الجهة البيولوجية فى نمو جسمه وتقوية عضلاته والطفل على الخصوص فى حاجة الى تحريك عضلاته واستخدامها لتكون أعظم قوة واكثر مرونة

يجب أن يأخذ الاب أطفاله الى الحقول والحدائق ليشاهدوا النبات والحيوان بانفسهم وأن يجيبهم على أسئلتهم لايضاح مايشاهدونه لا أن يحتقرها ولايجيبهم عليها وبهذه الطريقة يتعرف الأبناء الفروق الموجودة بين النبات فى جذوعها وأوراقها وأزهارها ويشاهدون أنواع النبات ويعرفون أسماءها وخصائصها

على أننا نرى أن كثيرا من الآباء ينظرون الى المستقبل ولا يفكرون فى حياة الطفل الراهنة وإنما ينظرون الى الرجل فى الطفل ويزودونه بما يحتاج اليه الرجل من أنواع المعرفه التى لايهتم لها الصغير ولا يريد أن يتعرفها فهم كما يقول روكسو « يضحون بالحاضر لأجل مستقبل غير مؤكد وقد لايعيش الطفل ليدركه » ويجب ألا نعلم الطفل إلا مايحتاج اليه ومايتفق مع غرائزه وطبيعته ويجب كذلك ألا نتعجل الطبيعة فى عملها فالطبيعة هى التى تعد الطفل ليكون رجلا . وما علينا إلا أن نساعدها فى الاعداد

يجب أن يذكر الآباء أن الطفولة ليست كما أسلفنا طريقة للرجولة فقط بل هى حياة مستقلة لها مميزاتها وصفتها الخاصة . لها كل مالأنواع الحياة من القيمة والقدر . لذلك ينبغى أن تتاح للاطفال الفرصة فى المنزل لكى ينموا نمواً جسميا وعقليا واجتماعيا وخلقيا ، ويستمتعوا بالحياة استمتاع الأحياء بها . فالمنزل مكان للنمو ذلك النمو الذي يجب أن يتناول الانسان من جميع نواحيه اذ يقول بعض العلماء أن مهمة المنزل هى اعداد الطفل ليحيا

اذن فالطفولة دور خاص له ميوله واستعداداته الخاصة ولامعدي من ان يراعى الآباء ذلك فى معاملتهم لأطفالهم . وفى هذا يقول روسو « عامل ابنك حسب سنه » ويقول « احترموا طبيعة الطفل » و « الطبيعة تريد الاطفال أن يكونوا أطفالا قبل أن يكونوا رجالا » وبذلك انصف الطفل لأول مرة فى التاريخ والفضل فى هذا الانصاف يرجع الى روسو

وهكذا يجب ان تكون طبيعة الطفل مركز اهتمام الآباء وموضع عنايتهم واحترامهم اذ لاسبيل الى السيطرة على الطبيعة — كما يقول بيكون — الا بالخضوع لها — كما ان غرائز الطفل وميوله واستعداداته هى الى حد كبير ، المادة التى يجب ان يعامل الآباء أبناءهم بمقتضاها

ضحية التدليل

للسيدة صفية بسيم

يكاد التدليل يكون شرا لا بد منه لكل طفل ، إذ لا يمكن للأم التى لم تخصص وقتا كبيرا من حياتها لدراسة التربية وأساليبها أن تنجو من شر تدليل ابنها مهما حاولت أن تظهر بمظهر الجد — فقد نجد اما تتباهى بأنها لم تسمح لابنها يوما أن يعارضها فى أمر ، وانها لا تسمح لعاطفتها بالتغلب عليها ، بل هى دائما يقظة ومستعدة لعقاب الطفل على كل ذنب اقترفه ، وانها لم تضعف يوما أمام دموع طفلها ، ولم تتهاون قط فى تربيته ، ومع ذلك فهذه الأم نفسها ترتكب كل يوم أنواعا من التدليل مستترة تحت غشاء من الجد يقرب من القسوة ، فمثلا تحرص هذه الأم على نظافة طفلها بتخصيص خادمة لا عمل لها فى المنزل إلا السهر على راحته من تغيير ملابسه إذا اتسخت ، فى أثناء اللعب ، الى ربط « فوطة » حول عنقه قبل الغداء واطعامه بنفسها زيادة فى الحرص وذلك كله فى نفس الوقت الذي يكون قد بلغ الطفل فيه من السن ما يمكنه من ربط « الفوطه » وتغيير ملابسه بنفسه واطعام نفسه بنفسه

هذا نوع من التدليل لم تنج الأم منه بالرغم من حرصها ، لأنها تجهل تأثير الاعتماد على الغير فى حياة الطفل ، ولا تعلم أى عناء يقاسى هذا المسكين عندما يبتدىء فى مواجهة الحياة وحيدا ، وقد تعود أن لا يجد فيها أية صعوبة ، هذا النوع من التدليل هو آفة التربية المنزلية فى مصر ، فالأم لا تثق بقدرة ابنها للقيام بحاجياته بنفسه ، أو قد تعتقد أنه ليس من اللائق به . وخصوصا إذا كان من وسط راق . ان يقوم بما هو فى نظرها من مهمة الخدم ، وفى كلتا الحالتين : يضر الطفل ضرراً بليغا إذ لو تعود من السنين الأولى الاعتماد على نفسه لشعر انه قادر على القيام بطلباته ، ولنمت فيه الثقة بالنفس ، والثقة بالنفس عند الطفل هى خير ما يجب على الأم تنميته فيه لتساعده على مواجهة الحياة بثبات وعزيمة

لهذا نرى الاجانب قد اهتموا بتعويد الطفل الاعتماد على نفسه مهما كان غنيا ، فالأم لا ترضى ان تشعر ابنها أن وراءه من يسهر عليه ، فاذا كانت للطفل حجرة خاصة كما هى العادة ، فان كل ما فى الحجرة يوضع بحيث يصل اليه الطفل فالمشجب — الشماعة — مثلا يعلق قريبا من الطفل ، ويوضع الخوان بحيث يمكن الطفل فتحه والوصول إلى أعلى رف فيه كما أنه يعلم موضع ملابسه كلها منه ،

وبذلك لا يحتاج لمساعدة انسان ، ولا يعتمد على أم ترعاه دائما ، أو خادمة تلبي نداءه فى كل صغيرة وكبيرة ، وقد تعجب كثيرات من الامهات إذا علمن أن الطفل هناك هو الذى يقوم بنفسه بترتيب السرير بل حتى كنس الحجرة وتنظيف الحذاء دون أن يأنف من حمل المكنسة أو يرى عارا فى اليد الصغيرة الرقيقة بالدهان « الورنيش » وقد تسأل الأم عن فائدة كل هذا الابتذال وتشفق على الطفل من تحمل هذه المشقات ، ولكنها تسيء بذلك اليه من حيث لا تدرى ، وتحرمه من اللذة التى يشعر بها كل طفل وهو يقوم بحاجاته كما انها تعرقل فى نفس الوقت اعداده للحياة كما يجب

والطفل المصرى — لسوء حظه — يدلل إلى حد بعيد ، ويكفى أن أقول فى ذلك انه قد ينادى الخادمة مرارا ثم يؤنبها بحدة على تأخيرها فى تلبية طلبه وبعد كل ذلك يأمرها باحضار كوب ماء فى حين انه نفسه لايبعد عن الماء كثيرا وكان يمكنه اختصار هذه العملية الطويلة واحضار الماء بنفسه . ولكنه مدلل ولا بد أن يخدم !!

ترى أتنتظر الأم ان تشفق الحياة على ابنها فى المستقبل فلا تواجهه بصعوبة ؟ ؟ أم كيف تنتظر ان يتمكن هذا المخلوق الذي أضعفته بسوء تربيتها من التغلب على الصعاب والطفل ان لم يواجه الحياة صغيرا فلن يقوي على مواجهتها كبيرا . والاولاد فى العادة أسوأ حظا من البنات من هذه الوجهة، فقد تقوم البنت ببعض الاعمال الخاصة بها ، أما الولد فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن يقوم بعمل ما ، بحجة ان الاعمال المنزلية من ترتيب سريره وتنظيف حجرته ورفو جواربه لاتليق بالرجال، ولكن هذا زعم باطل ويجب أن يعلم الولد أن يقوم بنفسه بهذه الأعمال

على أن بعض الآباء يسرف فى تدليل الطفل الي أبعد من هذا الحد وخصوصا إذا كان الطفل هو الطفل الاول أو الوحيد وهنا لا يرى الطفل إلا جالسا على ركبة أبيه أو أمه ، ولا يرفض له طلب خشية كدره ، ولا يسمح لخادم أو سيد بمخالفة أمره ، وهذا النوع من المعاملة هو مايسميه الناس بالدلع

قد يكون للمربي عذره فى تدليل الطفل ، وقد يكون ضحية ظروف اضطرته الى اغداق حبه عليه ، ولكن هذا لايبرر مطلقا التمادى فى التدليل واهمال تربية الطفل ، لأن مثل هذا الطفل المدلل ينشأ فى العادة مستبداً برأيه ، مغرورا بنفسه ، وغالبا يشقى بهذا الغرور ، فهو اذا ذهب الى المدرسة انتظر من معلماته ماتعوده فى المنزل ، وصمم أن يكون المدلل الوحيد وما أشقاه أن لم يجد من معلماته ما أراد وما أشقى معلماته به ان لم يفهمن طبيعته قبل فوات الفرصة ، لأنه اذا لم يلفت المعلمة اليه بوجه خاص بجماله ، أو خفة دمه ، أو نباهته ، سرعان مايحاول لفت نظرها باهماله أو قذارته او مخالفته للاوامر . وفى معظم الاحوال يستثير المعلمة ، فاذا ثارت عليه شكا لأمه ، والأم تحتج — طبعا —

على تصرفات المعلمة ، وما أسعد الطفل حين يشعر انه قد انتقم باحتجاجها لنفسه

ينتقل هذا الطفل من مدرسة الى مدرسة بنفس الفكرة وتسوء حالته فتعظم شقة الخلاف بينه وبين مدرسيه ، ويشتد كرهه للدروس ، ولسوء الحظ يكون التظلم قد أصبح فيه عادة فيتظلم من كل شيء — من رئيس ومرءوس ، من زوجه أو من أقاربه بدون سبب ظاهر . هكذا يصبح ضحية الحب وسوء التصرف ، وينطبق على مربيه المثل القائل عدو عاقل خير من صديق جاهل

وقد ينحو الطفل من مساوىء تدليل الاباء ، ثم يجد نفسه فجأة مدللا وهو فى المدرسة ، ذلك لان معلمة أو أكثر قد استرعى انتباهها هذا الطفل ففضلته على سواه ، وعندئذ تكثر من أخذه معها فى فترات الراحة ، ومن الكلام معه فى الحصص ، ويكثر الطفل من التقرب اليها ، فلا يلعب مع أقرانه ، بل ينعزل عنهم ، وسرعان ما تدب فى قلوب الاطفال الغيرة من هذا الذي فضل على الجميع ، وقد يتعود الطفل اجتناب أقرانه حتى بعد ترك هذه المدرسة ، ويفقد بذلك مزايا الصداقة والمحبة بين الطفل واخوانه ، فينشأ مكروها من كل زملائه فى المدرسة والعمل على حد سواء ، لاعتباره نفسه أهم من الجميع وأعلى مكانا

حدثتنى صديقة عن حادثة من هذا القبيل وقعت فى المدرسة الابتدائية التى كانت تدرس بها فقالت . كانت حسنية طفلة ظريفة جدا ، وكانت احدى المعلمات تحبها حبا جما ، فكانت تناديها فى الحصة لتحكى لها بعض الحكايات وغالبا كانت ترى الطفلة على ركبتيها ، استمر هذا الحب سنتين ثم لم تعد المعلمة تعبأ بهذه الطفلة ، وشعرت زميلاتها انها قد أصبحت ثقيلة الظل من كثرة محاولتها اظهار خفة دمها حتى سئمها الجميع ، وكانت هذه الطفلة معتزة بخفة روحها إلى درجة أهملت معها الدراسة ، وحين تقدم زميلاتها لامتحان الشهادة الابتدائية كانت حسنية لاتزال فى السنة الثانية الابتدائية . وأغلب الظن ان أهلها لم يكن لهم أمل فى نجاحها لانهم حفظوها فى المنزل بعد ذلك . هذا مثل من كثير ضحايا التدليل . لحبذا لو انتبه الاهل الى ذلك وضبطوا عواطفهم نحو أطفالهم وفى الواقع انه لابد من ضبط العاطفة وتهذيبها وتغليب حكم العقل عليها

الطفل بين اخوته

للسيدة صفية بسيم

لعل المحافظة على العلاقات الودية السليمة بين الاخوة وعدم ايجاد فرص للحسد أو الغيرة بينهم من أدق واجبات الآباء ومن أولاها بالعناية والرعاية ، ولكن قلما يرى الآباء أن يبدءوا تكييف العلاقات بين الاخوة منذ الصغر وان هذه العلاقات محتاجة الى دقة وخبرة من جانب الآباء تقيهم شر الوقوع فيما يعود على طفل أو اكثر من أبنائهم بالضرر الجسيم لافيما يتعلق بصلته باخوته فحسب ، بل فيما يترك فى حياته المستقبلة من الاثر الذى قد يلازمه طول الحياة

والحق أن الآباء الذين يستطيعون السير على سياسة واحدة عادلة مع كل الابناء على السواء قليلون أو الكثيرون يفضلون فى الغالب ـ طفلا على الجميع ، ويظهرون هذا التفضيل فى هداياهم وكلامهم دون أن يفكروا فى الاثر السىء الذي يتركه هذا التفضيل فى نفس الاخوة المهملين المعذبين ولا في النتيجة السيئة لهذا الأثر فى نفس الطفل الذى يجد نفسه مفضلا ويشعر فى أعماق قلبه بامتيازه وسيطرته على الجميع

ذلك أن لاختلاف سياسة الآباء مع أبنائهم صلة وثيقة بمركز الطفل فى العائلة ولما كانت هذه السياسة تترك أكبر الاثر فى مستقبل الطفل فان علماء النفس يقولون ان فى امكانهم أن يحكموا على أى شخص من أعماله وأخلاقه اذا كان مثلا الاول فى العائلة أو الثانى أو الاخير

والآباء يشملون فى العادة الابن الاكبر برعاية كبيرة ويضعون ثقتهم فيه لأنه كبير اخوته فيجب ـ كما يعتقدون ـ أن يكون اكثر اخوته عقلا وحكمة ، ولذلك قد يجعلونه المرجع فى كل مايختص بهم . وقد يلقون عليه مسئولية الأسرة إذا كانوا خارج المنزل وبذلك تكثر مسئولياته فيشعر أنه قد أصبح شخصا محترما فى الهيئة الاجتماعية ويزداد عنده شعور الثقة بالنفس ويكون اكثر من اخوته استعداداً لتحمل ماقد تلقيه الحياة على عاتقه من مسئوليات . إلا أن بعض الاباء يغالى فيما يفرضه على الطفل الاكبر حتى أنه لينسى حقه كطفل ولايسمح له بالبقاء طفلا إلا لمدة قصيرة وبذلك ينتظر منه اكثر مما يجب فيجر عليه الشقاء من حيث لايعلم . وقد قامت الدكتورة « تشارلوت بيلر » حديثا بعدة ابحاث عن صلة الأخوة فى عدة عائلات من طبقات مختلفة فوزعت طالباتها على هذه العائلات وعاشت كل طالبة مع العائلة التى اختصت بها كأنها جزء منها كيما يتعود

عليها الاطفال ويظهرون أمامها بطبيعتهم دون أى تكلف . ثم أخذت كل منهن تدرس العلاقة بين الاخوة والام والأب والجو المنزلى بوجه عام لتحليل سبب هذه العلاقات . وقد كان من بين الحالات التى عرضت فى إحدى هذه العائلات طفلتان إحداها فى العاشرة من عمرها والأخرى فى السادسة ، وكانت الأخت الكبرى شديدة فى معاملتها لاختها إلى حد بعيد إذ كانت لا تشفق عليها إذا وقعت فى أثناء اللعب ولا تهتم بشأنها إذا تألمت من آي شيء بل بالعكس كانت تنتظر فرصة وجودهما منفردتين لتؤنب أختها وتؤذيها ، ورغماً عن أن هذه الأخت الصغيرة كانت رقيقة ومطيعة ومحبة لأختها . ولما عاشت الطالبة التى أسند اليها دراسة هذه العائلة بين أفرادها سرعان ما اكتشفت سبب هذه القسوة من جانب الأخت الكبيرة إذ أن هذه العائلة لم تكن فى سعة من العيش لتسمح بوجود خادمة ، وكانت الأم تقوم بنفسها بأعمال المنزل فلما ولدت « اما » وهى الطفلة الكبيرة زادت بطبيعة الحال أعمال الأم المنزلية فلم تجد فرصة للاعتناء بالطفلة كما يجب فلما كبرت الطفلة قليلا اشركتها أمها فى أعمالها المنزلية إلى حد الارهاق وحرمت عليها اللعب وهى لا تزال فى طور الطفولة أما أختها الصغيرة فقد سمح لها بان تظل طفلة تلعب وتمرح كلما شاءت فكانت « اما » تحسد أختها على هذه النعمة وتتمنى لو استطاعت أن تكون مثلها وكانت الأم تجهل مايجول بعقل طفلتها هذه لانها كانت تعتقد أن الواجب الطبيعى هو أن تقوم « اما » - وهى لم تعد طفلة - باعمال المنزل وأن تترك للصغيرة وقتها تلهو فيه وتتمتع به كيف تشاء . لذلك كانت « اما » تنتظر الاوقات التى تجتمع فيها مع أختها فى النوم أو النزهة لتسيطر بدورها على مخلوق أضعف منها كما تسيطر عليها أمها ولتثأر لنفسها من أختها المسكينة

إذن فالطفل الاكبر سواء كان مسيطراً على اخوته أم مرهقا بكثرة مايطلب منه يكون فى العادة كثير الثقة بنفسه قادراً على مواجهة الحياة ومتاعبها بصبر وثبات

أما الطفل الثانى فانه يشعر على العموم بضعفه ازاء الطفل الاكبر ولذلك يحاول اظهار نفسه بشتى الوسائل فاذا لم يتسن له ابراز شخصيته والتفوق على من سبقه بالحسنات فانه قد يلجأ الى التفوق عليه بالسيئات . واحيانا تضطره المنافسة الى اختلاق اكاذيب على الاخ الاكبر للحط من شأنه وقد يرى طريق المنافسة شاقا فيعرض عنه ويخضع لاخيه الاكبر . ويبدأ يستشيره فى كل أمر خاص ناظراً اليه كأنه بطل من أبطال الحياة . وبذلك تضعف شخصية هذا الطفل ويصبح عاجزاً عن التفكير فى مسألته الخاصة بدون مساعد كما حدث مع طفل كان بينه وبين أخته الكبرى خمس سنين وقد تعود منذ صغره كثرة مساعدة أخته له حتى أنه لما كبر وذهب الى المدرسة كان اذا سألته المعلمة يوما لماذا لم يقم بواجبه المنزلى ؟ يقول « احسان ما كانتش فاضية علشان تخلينى اكتبه ! »

وان سئل عما إذا كان يرغب مثلا فى شراء شىء يقول « اما أسأل احسان » ! ! وهكذا كان الطفل عاجزا عن تدبير أموره بنفسه ، وتلاشت شخصيته فى شخصية احسان ، فكانت هى كل شىء

والطفل الذي يقاسى حقا فى ابراز شخصيته هو الطفل الصغير ، وخصوصا إذا كان فى عائلة كبيرة ، فانه يرى نفسه أقل قيمة من الباقين بالنسبة لحجمه وحجمهم ، وعقله وعقلهم ، ومعلوماته ومعلوماتهم ، وتزداد الحال سوءا فى عائلات كثيرة بأن يرغم الطفل على أن ينادي كل اخوته « بأبيه » فلان و « أبلا » فلانة ، وهذا المركز المؤلم هو الذى يدفع الطفل الصغير إلى الجهاد المتواصل ليثبت انه ليس أقل من اخوته فى شىء ، وكثيرا مايتفوق الطفل فعلا بسبب جهاده،ويكون الأصغر ذا شهرة عالية فى التفوق ، كما يبدو جليا فى حكايات الاطفال لدى مختلف الأمم . السنا نسمع فى حكاياتنا القومية المعروفة أن الشاطر حسن والشاطر على والشاطر محمد — (وهو أصغرهم) — قد خرجوا من منزل أبيهم ليكتسبوا رزقهم ، فوجدوا ثلاثة طرق متفرقة ، طريق (سكة) السلامة وطريق الندامة ، وطريق « اللى يروح ما يرجعش » فوقفوا أمامها مفكرين واختار الشاطران الكبيران الطريق الأقل ضررا ، بينما أصر الشاطر « الصغير » على اختيار « سكة اللى يروح مايرجعش » ، لأنه البطل الذى لا يهاب شيئا ، فهو يذهب بكل ثبات وعزيمة إلى حيث يقاتل الوحوش ، ويتصادم مع الغيلان والشياطين ، ثم يعود بعد ذلك مكللا فائزا منصورا ! !!؟

وغير هذه من الروايات والأقاصيص كثير ومع كل فهذه الروايات وتلك الأقاصيص لم توضع لاثبات حقيقة موجودة فحسب بل لتأخذ أيضا بيد الطفل وتثبت أن الصغر لا يمنع قط من التفوق وبذلك تقضى عنده على عقدة الشعور

على أنه لا ينبغى أن يفهم من هذا أن كل طفل صغير يتفوق حتما على اخوته ، اذ قد يحدث أحيانا — كما اشرنا إلى ذلك من قبل — أن يجد الطفل المنافسة شاقة فيعرض عنها ويقنع بعيشته كما هى ، ويزداد شعوره بالنقص فيصبح خجولا وقد يتجنب الناس ويميل إلى الانزواء عنهم

* * *

وهناك نوع آخر من الأطفال يعتبر مشكلا لصعوبة تربيته . ونعنى به الطفل الوحيد ، لأنه ان كان الآباء قد أثبتوا بعض الضعف فى تربية أطفالهم ، فانهم قد أثبتوا كل الضعف فى تربية طفلهم الوحيد !! ؟ ذلك انهم ينشئونه عادة مدللا إلى أبعد حد ، معتادا أن يأمر فيطاع ويطلب فيجاب وقد تحلف الام بحياته بمناسبة وبغير مناسبة ، فيشعر هو بأهميته العظمى ، ويتمرد على الكبار ويطلب السيطرة والنفوذ أينما ذهب ، وقد تخشى الأم على حياته « الغالية » من اشتراكه مع الاطفال فى لعبهم ، فتنهاه عن ذلك ، وتبعده عن عشرة من هم فى سنه ، فينشأ مغرورا بنفسه

عاجزاً عن سياسة رئيسه أو مرءوسه ، يظلم ويتجبر إذا رأس فيكرهه الناس ، أو لايمتثل للأوامر ويحتقر عمله إذا كان مرءوسا فيجلب على نفسه الطامة الكبرى

ويماثل هذا النوع من الاطفال نوع آخر كثير الانتشار ، وخصوصا فى البيئة المصرية ، ذلك هو الولد الوحيد بين شرذمة من البنات . إذ لا يخفى على احد الاهتمام الكبير الذي يظهره الاهل بالمولود الذكر ، والحزن الشديد الذى ينتابهم إذا كان المولود أنثى ، وكأنهم يريدون أن تمتلىء الارض بالرجال دون النساء !!! ، فالولد الوحيد بين عدة بنات يعامل معاملة خاصة كلها تكريم واعزاز يليقان بمقامه السامى ، ولذلك يشعر البنات أزاءه بضعفهن ، وبضآله قيمتهن . فيحقدن عليه ، وقد يمتد فيهن هذا الحقد الى الرجال عامة ، فيملن الى الثأر منهم اذا حانت لهن الفرصة . وهناك مثال لنتيجة سوء معاملة البنات بالنسبة لمعاملة الولد وهذا المثال لسيدة كانت تحب السيطرة على زوجها إلى درجة لا تسمح له فيها بالبت فى أموره الخاصة دون أن يستأذنها

وقد بالغت فى هذه المعاملة حتى كانت تحزن حزنا شديدا إذا خالفها زوجها فى أمر ما ، ولذلك تفاقم الحال حتى ساءت حالتها العصبية فلم تر بداً من استشارة عالم نفسانى سألها عن ماضى حياتها فأجابت بأنها كانت محبوبة فى صغرها حتى ولد لها أخ اغتصب حب أبويها منها . وسلبها معاملاتها الحسنة السابقة لها . ولما طلب منها العالم النفسانى أن تروى شيئاً من أحلامها — كما هى العادة المتبعة فى التحليل النفسانى — ذكرت أنها رأت نفسها فى آخر حلم تذكره . تكلم زوجها فلما اقتربت منه وجدته سيدة ! ! — والاحلام فى هذه الحالة وما يماثلها تحل للفاحص جزءا كبيرا من مشكلته لان الانسان يتخلص من سيطرة العقل الواعى ، فيظهر « العقل الباطن » ما فى النفس من رغبات مكبوتة وأسرار مدفونة وظاهر ان هذه السيدة كانت فى الواقع ضحية لمعاملة أبويها . فراحت تتمرد على الرجال وتتمنى ازالة الفوارق بينها وبينهم فجاء حلما محققا لأمنيتها . ! !

والآن ماهى نتيجة مثل هذا التفضيل على الولد نفسه ؟ ؟ ينشأ هذا الولد فى العادة مغرورا ممتلىء العقل بشتى الخرافات عن أهمية الرجال فى الحياة وفضلهم على المجتمع . وتصبح المرأة فى نظره مخلوقة ضعيفة محتقرة لاشأن لها ولا قيمة

وهذا الصنف من الرجال منتشر بين المصريين للأسف انتشارا كبيرا . لذلك ما أحوجنا الى أم تقدر تماما ما تجره على بنات جنسها بهذا التفضيل الواهى الأساس فتعلم ابنها قيمة المرأة فى الحياة وشأنها الهام فى المجتمع . والا فمن تطلب المرأة المساواة وهى نفسها تؤثر الولد على البنت ؟؟ وكيف تطلب من الرجل انصافها وهى تعجز عن انصاف نفسها ؟ ؟

* * *

ذكرت شيئا عن سبب اختلاف معاملة الاباء لأطفالهم . وبقى أن أذكر تأثير الغيرة التى يشعر بها الطفل الصغير من الطفل المولود حديثا . يظن بعض الاباء أن مجرد الحكم على الصغير بتقبيل المولود يكفى لان يقضى على الشعور بالغيرة . ولكن هـذا خطأ لاريب فيه . اذ قد يقبل الطفل المولود ارضاء لابويه . ودون أن يشعر فى نفسه بدافع لهذا التقبيل . وقد سئلت طفلة مرة هل تحب أخاها المولود فقالت « لا » وهنا سئلت « امال بتبوسه ليه ؟؟ »

فاجابت « أنا بس أبوسه لما تكون ماما واقفة ، ولما ماتكونش واخده بالها أعمل نفسى بيوسه وأعضه »

فهل معنى هذا أن الغيرة لابد منها وأن تكوين الحب بين طفلين مستحيل ؟ الجواب أن هذه المسألة تحتاج الى دقة وتتوقف على شيئين أولا طريقة معاملة الطفل الاكبر قبل حضور المولود الجديد . وثانيا معاملة المولود الجديد منذ أول ساعة فى حياته . ففى حالة الطفل الاكبر يجب أن يراعى ألا يخدم بدون سبب والا يكون مرآة للزائرين واذا مرض فلا ضرورة للخوف الزائد على صحته أو على الاقل لاضرورة لاشعاره بذلك الخوف . والواجب هو أن يشعر الطفل منذ بدء حياته باستقلاله الشخصى حتى لايكون دائما شاغلا لامه وأبيه والخدم جميعا . أو من الطبيعى أن الطفل الذى يتعود كثرة العناية سرعان مايشعر بالاهمال عند وجود شىء آخر . أما معاملة الطفل المولود كما ينبغى فهى فى الواقع أصعب من معاملة الطفل الكبير نظرا لضرورة وجوده دائما مع أمه لمدة أسبوع على أقل تقدير ولكثرة حمل الام له بعد ذلك اذ هذا مما يثير غيرة الاخ الاكبر وحقده

ولقد تغلبت الام الانجليزية على هذه الصعوبة الى حد كبير لانها تبقى هناك فى مستشفى خاص بالولادة حتى تستعيد قوتها ، وبذلك لايراها الطفل الاكبر وكل مانعلمه عنها أنها بالمستشفى لمرضها وفى أثناء وجودها هناك يرشدها المربيات الى كيفيه العناية بطفلها . وأهم مافى ارشاداتهن عدم حمل الطفل إلا فى اوقات الرضاعة . وبذلك تعود الام الى المنزل فتضع طفلها الجديد فى سريره الصغير وتقفل عليه الحجرة وتتركه وحيداً ولاتسمح لنفسها أو لاى انسان بالدخول عليه الا فى أوقات الرضاعة . وهكذا تستطيع ادارة المنزل . والعودة الى الطريقة التى كانت تتبعها مع ابنها الاكبر قبل الولادة بما فيها من عناية وبذلك ينتفع الطفلان معا . فالقديم لايشعر باهماله والجديد لايفقد صحته بكثرة الحمل ولاتجهد أعصابه بالضوضاء حوله ، بل يتعود وينشأ على الهدوء والسكينة منذ أول ساعة فى حياته ، بينما لايتسرب الى أخيه الاكبر أى داع للغيرة منه أو الحقد عليه

أما فى مصر فالحال على نقيض ذلك تماما اذ أن حياة الطفل الاكبر عند مايولد له أخ أو أخت صغيرة تصبح سيئة للغاية بسبب اهمال أمه له وتفرغها التام للمولود الجديد . ومما يزيد الامر سوء

أن عاداتنا تقضى بان يكثر تردد الزائرات من الاقارب والجيران وجيران الجيران على الام بعد الوضع للاطمئنان على صحتها كما يقولون ولرؤية المولود ومعرفة جنسه وشكله ولونه كما هو الواقع مما يعنيهم أولا يعنيهم وطبعا تقدم الام طفلها الى كل زائرة لتحمله بين ذراعيها وتناجيه والا اعتبرت مقصرة فى واجبها نحو الزائرة

وينتج من كل هذه الضجة حول الطفل أن يتعود الحمل والضوضاء فتضطر الام الى ملازمته باستمرار ويرى الطفل الاكبر أن هـذا الصغير قد شغل كل وقتها فيشعر بالغيرة ويتمرد وقد يبدأ فى اتيان أشياء تافهة كأن يصرخ ويبكى كالصغير لسبب واه ، وكلما رأى هذه أن العوارض تستدر عطف أمه غالى فيها فيدعى المرض مثلا حتى يصبح ادعاء المرض عنده عادة وقد تتلف صحته فعلا نتيجة لاستعمال الادوية اذا لم تلحظ الام من المبدأ أن المرض نفسانى وليس جسمانيا كما يدعى الطفل

هذا هو تأثير عاداتنا المصرية على الطفل !! وهو تأثير سيء كما نرى ، وأرى أن اتقاءه يمكن اذا وضعت الام المولود فى سريره الخاص من البداية لان ذلك يهون ولاشك كثيراً من الصعاب فمثلا لايراها الابن الاكبر دائما ملازمة للمولود الصغير ويمكن من جهة أخرى صنع سرير المولود الخاص بحيث يسمح بظهور الطفل للزائر بسهولة ويحمل الزائرات على التنازل عن حمله مادام يتيسر لهن رؤيته والحكم على طوله وعرضه وعينيه وحاجبيه وفمه وأنفه دون ازعاجه بكثرة اللمس

هذا هو موجز مركز الطفل بين اخوته والعوامل التى تؤثر عليه وقد تبين من هذا أن موقف الاخوة من بعض يحتاج الى خبرة وتعقل كيما يضمن الاباء وجود صلة محبة متينة بين الاخوة تؤهلهم لان يقفوا يداً واحدة وقلبا واحـدا ويتعاونوا على الحياة مع احتفاظ كل منهم بشخصيته

